السادات.. بطلاً للسلام

من ميت أبو الكوم.. إلى جائزة "نوبل"

عبد المنعم صبحي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

السادات .. بطلا للسلام

من ميت أبو الكوم .. إلى جائزة "نوبل"

عبد المنعم صبحي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٦

إهـــــداء

الى فارس الحب والأمل
الى صانع ثورة مايو العملاقة
الى صانع القرار في رمضان
الى القائد ، والمناضل ، والمعلم الثورى
الى بطل السلام ...
الى محمد انور السادات
الى مرآة مصر ... عندما ترى نفسها
في حب وحكمة وسلام ...
الى اعظم عطاء مصرى عربى ...
انجبته دار السلام ..
ليكون فارس الحب والحكمة والسلام ...

عبد المنعم صبحى

● « ان السادات .. رجل سلام حقيقي ، يتميز بالصدق ، والبساطة ، والاصرار على تحقيق أحلام أمته ، استطاع ، بجهد خلاق ، متعاظم ، أن يكلل جهـــوده بالسلام .. وهو يســعى جديا الى احــلال السلام ، وبصـــدق ، ومن خلال جوهر الحقوق العربية ، لا من خـــلال المهاترات أو المراوغة .. فهو لا يعـــرف التلاعب بالألفاظ ، لأن السياسة من وجهة نظره ، هي الصدق اساسا ، مع ابناء الوطن ، ومع الأسرة الدولية ، ومع كل القيادات الدولية ، ولا سبيل في رايه للوصول الى أى حل من الحلول ، الا من خلال التزام الصدق » .

سيروس سالزبرجر

مؤلف كتاب (صف طويل من الشموع الذى يتحـــدث فيه عن أبرز قادة عصرنا السـياسى.

السّادات .. بَطلاً للسّلام

مقدمة

بقلم : الدكتور محمد عبد القادر حاتم

● اذا أردت أن أكتب عن الرئيس المؤمن محمد أنور السادات فانى لا أجد العبارات التى تفى حقه لما قدم من أجل مصر والسلام .

ولكن هذا الزعيم الذى أحب الحب فأحبه الناس فما من خطاب له الا كان ينادى فيه بنبذ الحقد وبث الحب .. الحب بين الناس .. الحب لمصر .. الحب من أجل السلام ..

وفى يدى اليوم كتاب عن الرئيس المؤمن محمد أنور السادات تناول فيه الكاتب بالشرح حياة الرئيس .. من ميت أبو الكوم الى جائزة نوبل .. ولماذا فاز بالجائزة .. ونجد بين طيات هذا الكتاب ما كتبه الرئيس وأعماله وجهوده .. وكلها خط مستقيم صحيح .. ولغة واحدة .. وهدف واحد

لا يحيد عنه ٠٠ سواء فى كتاباته أو أعماله حتى أصبح رئيسا للجمهورية ٠٠ وحقق لمصر السلام الذى يعتبره وسيلة من أجل الرخاء ، أعماله تدل على أنه يريد أن ينفع الناس ٠

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم ٠٠ من هو أحب الناس اليك يا رسول الله ؟ فقال : أنفع الناس للناس ٠٠

فهذا الزعيم الذى غير موازين القانون الدولى ٠٠ حينما ذهب الى القدس٠٠ولم يعرف التاريخ السياسى٠٠ولا القوانين السياسية زعيما يذهب الى أعدائه برغم قطع العلاقات الدبلوماسية ويتحدث الى ممثلى شعب الأعداء ٠٠ مباشرة ٠٠ من أجل تحقيق هدف عظيم ٠٠ وهو السلام ٠٠

لقد سجل التاريخ للرئيس أنور السادات سابقة لم تحدث فى القانون السياسى ٠٠

سجل التاريخ له ٠٠ انه كان فيلسوفا سياسيا ومخططا عالميا جعل العالم بين يوم وليلة ٠٠ يستمع اليه ويقتنع بصدق ما يقول بدبلوماسية الصدق والصراحة ٠٠

ان هذا الكتاب تناول كل هذه الموضوعات وغيرها بالتحليل ، فأبدع الكاتب فيما كتب وشرح وفسر كل المشاكل بموضوعية يستحق عليها الشكر والتقدير ٠٠

كلمتى ٠٠ لكل رجال الاعلام ٠٠ أن يتناولوا هذا الكتاب كمرجع من المراجع لما فيه من وثائق ٠٠ حينما يتناولون الموضوعات الوطنية والمسائل القومية التى تعرض لها الرئيس فى حياته وكفاحه ٠٠

فشكرا للكاتب لما كتب وتقديرا منى لاخلاصه فيما تناول من مسائل ٠٠

محمد عبد القادر حاتم

●●● « انه من أعظم الساسة ، دفاعا عن الحرية والسلام ·أكد بصدق نضاله وجهوده ، واصراره ، رغبته التى لا تقف عند حد من أجل السلام · فمبادرته ، بالذهاب الى القدس ، تتسم بالجرأة والشجاعة ، ونضاله من أجل السلم يتسم بالصدق والايمان » ·

الاكاديمية النرويجية ، فى قرار منح السادات، جائزة نوبل للسلام

● ● ● ان أمتنا لا تتحرك من سعيها من أجل السلام الدائم العادل ، من موقف ضعف أو اهتزاز ، بل أنها على العكس تماما ، تملك من مقومات القوة والاســـتقرار ما يجعل حكمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام • صادرة عن ادراك حضارى بأنه لكى نتجنب كارثة محققة ، فان علينا وعليكم وعلى العالم كله •• لا بديل عن اقرار سلام دائم وعادل لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا •••

••• ••• •••

••• ••• •••

واليوم ، يقف العالم أجمع ، مع (معاهدة السلام) ، ثقة منه فى أنهـــا بداية مرحلة جديدة من الأمن والاستقرار والرخاء والخير المشترك • لقد أنجزت هـــذه المعاهدة تحريرا كاملا لسيناء ، وأكدت سيادة مصر ، على أراضيها ومياهها الاقليمية ، واستعادة ثروتها الطبيعية ، كما انها جزء لا ينفصل عن التسوية الشـــاملة للنزاع العربى الاسرائيلى ، فهى قد وثقت الروابط بين تحـرير سيناء وبين تحرير سائر الأراضى العربية المحتلة ، كما أكدت استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى الشقيق ، والبدء باقامة حكم ذاتى يمارس بعده الشعب الفلسطينى حقه الطبيعى فى تقرير مصيره • ان المعاهدة التى وقعت ليست نهاية ، ولكنها بداية ، وهى خطوة كبرى لاقامة السلام الشامل والعادل فى منطقتنا ، ذلك ، لأنه اذا كانت الحروب تمثل تحديا لارادة الانسان وتتطلب شجاعة فى مواجهتها ، فان السلام يتطلب بدوره ، شجاعة أعظم

وقدرة أكبر ، على الارتفاع الى مستوى المسئوليات الوطنية والقومية • ان مصر تدرك أهمية الخطوة القادمة بما فيها من مفاوضات شاقة يتعين اجراؤها لكى توضع الالتزامات الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة موضع التنفيذ ، حسبما رسمه اتفاق كامب دافيد ، وفصله البرنامج الزمنى فى الاتفاقات التكميلية لمعاهدة السلام ••

ان الشعب المصرى ، ليدعو ، الشعوب العربية ، أن تقيم هذا الحدث التاريخى بما يستحقه موضعه فى التاريخ الحديث ، وألا نستمع لتضليل تلك القوى الغربية المضللة عنا ، الطامعة فى السيطرة علينا ، وعلى ثرواتنا ، ولا لمن فى قلوبهم خلل أو مرض أو علة ••

ان مصر السلام ، التى تشيد من أجل البناء والحياة والأمان ، فى حاجة الى كل شريف ليقول كلمته ، لتشد ازر السلام ، ولتسكت كل مؤامرة تحاول أن تصيب مكاسب الشعب المصرى والعربى فى الصميم •

السادات بطلاً للسلام ..
لمـــاذا..؟

● « ان السادات .. رجل سلام ، لأنه يمثل ارادة الشعوب، فى تطلعها للأمن والاستقرار ، والبناء والتقدم » .

سيروس سالز برجر
الكاتب الأمريكى الشهير

● « ان السادات..رجل سلام ، لأنه يمثل أحلامنا ، وأمانينا ... فهو مرآتنا في كل مكان » .

السـيد عبـد الغفار ـ فـلاح من قريـة
ميت ابو الكوم

● منذ عام أو أكثر ·· شرعت فى كتابة هذا المؤلف · وكان يحدونى فى كتابته ، الرغبة فى محاولة التعبير عن هذا الجانب العظيم فى شخصية القائد والمناضل والمعلم الثورى : محمد أنور السادات ·· جانب الحب ، والحكمة ، والسلام ·· هذا الجانب الذى يمثل بعدا أساسيا ، وركيزة جوهرية ، فى ايديولوجيته وفكره ·· وهذا الجانب نابع عن قوة وادراك خلاق ووعى مبـــدع ، بحـكم الحنكة والخبرة السياسية والنضالية الطويلة ، وبحكم الفهم الواعى للتاريخ وحركة الشعوب فى تقدمها وسعيها الى الافضل ، وبحكم التجربة الرحبة العريضة التى خاضها بطلنا من قريته الصغيرة : « ميت أبو الكوم » الى العالم أجمع ·· فالسادات ، على وعى كامل ، بأن السياسة ان لم تؤد أهدافها النبيلة من أجل خدمة الجماهير والشعوب ، فى تأمين مستقبلها ، وغدها ، باتت متاجرة ومزايدة ، وفقدت قيمها الأصيلة ·· والحرب ، فى نظر بطلنا ، ليست هدفا فى حد ذاتها ، والا لتحول الانسان الى وحش مدمر ، يسعى للفتك بأخيه الانسان : الحرب ليست الا وسيلة ، وقنطرة ، لتحقيق غاياتها من أجل السلام ·· وهكذا كانت حرب أكتوبر ٧٣ ·· عبرنا من خلالها مرحلة الهزيمة ، وارتفعنا بهاماتنا الى ما يمكننا أن نقول : لا ·· ونتناقش ، ونتجادل ، ونملى مطالبنا ، من أجل تحقيق سلام عادل وشامل ، ومن أجل أن ننجز مرحلة التحرير ، ونستعيد الأرض العربية التى فقدناها ·· ·· ··

فالحرب ، اذن ، ليست غاية ، فى حد ذاتها ··

بل ، وسيلة للوصول الى أهداف بذاتها ··

وفى هذا يقول الفيلسوف الألمانى « عمانويل كانت » ، الذى يرتبط اسمه بين الفلاسفة الألمان بالسلام ، لكونه قد قدم منذ أكثر من قرن من الزمان مشروعا للسلم الأوربى : « اذا لم يكن للقائد أو للسياسى فلسفته نحو تأمين شعبه ، وتعبيد الطريق نحو السلام ، فما قيمة الحرب وسفك الدماء ؟ ان الحرب ، مالم تكن وسيلة لاشاعة الأمان فيما بعد ، لغدت بلا مبرر ، وباتت ممجوجة · ان الحرب توازن الأمور من أجل تسوية عادلة فيما بعد . ولذلك تجد أنه فى أعقاب كل حرب ، يتفق الأطراف على السلام » ·

وهكذا ، نظر بطلنا للأمور ·· ··

وبثقب نظره ، ووعيه الخلاق ، أحس انه لا يمكن الجلوس الى مائدة

المفاوضات ، الا بعد خوض غمار حرب يستعيد فيها الانسان المصرى كرامته وأنفاسه التى أنهكت من خلال حرب ٦٧ . لذلك لم يكن ممكنا الوصول الى اتفاق قبل حرب اكتوبر ٧٣ ، وهكذا فشلت كل المحاولات للحل السلمى قبل حرب رمضان ، بما فيها « مشروع روجرز » ، الذى رحب به عبد الناصر قبل أن يلفظ أنفاسه بأيام ..

●

لم يشأ السادات أن يجلس الى مائدة المفاوضات ، الا بعد أن يخوض حربا ، تعطى الانسان المصرى والعربى الدفعة ، والقوة ، على أن يتناقش ، ويتفاوض ، ويتجادل ، من موقع القوة لا الهزيمة من موقع الانتصار لا النكسة .. ولهذا كله .. قدر العالم دور الرئيس المصرى السادات ، فى نضاله الشريف ، العادل ، المتعاظم من أجل السلام ، لا فى الشرق الأوسط فحسب ، بل وفى كل المعمورة ..

وربما كانت جائزة نوبل للسلام ، خير تجسيد لهذا التقدير العالمى لبطلنا .. وخير تكريم للسادات .. ..

وقد أثار نيل السادات للجائزة ، ضجة كبيرة فى العالم أجمع . وتناولت الأقلام هذا الحادث السياسى والأيديولوجى من زوايا مختلفة بالرصد والتحليل والتعليق . وسنحاول أن نتعرض للأسئلة التى القيت ، وكذلك ، للاجابات التى أجيبت بها ، أيضا ..

كما سنحاول أن نجيب هل أهم أسئلة ألحت وتلح على وجدان مصر والعرب ، والعالم أجمع :

لماذا .. السادات ، بطلا للسلام ؟

ولماذا .. نال جائزة نوبل ؟

ولماذا .. رشحه العالم أجمع ، كرجل سلام هذا العام ؟

ولماذا .. كانت مبادرته الشجاعة الى القدس فى نوفمبر عام ٧٧ ؟ ثم لماذا .. دون غيره .. فى عصرنا .. قد توصل الى اقرار السلم ، بتوقيعه « معاهدة السلام » ، وبانهائه لحالة الحرب العاتية التى استمرت على الأرض العربية لأكثر من ثلاثين عاما ؟

لماذا .. السادات وحده .. هو الذى لم ينتزع جائزة نوبل فحسب

•• بل انتزع أعظم جائزة وأكبرها •• هى حب شعبه والعالم أجمع له ، لما اتصف به من اقدام ، وجرأة ، وحكمه ، وقدرة على تخطى وتجاوز كافة الصعاب من اجل تحقيق اهدافه ومبادئه نحو السلام •• •• ••

من خلال هذه الأسئلة •• نحاول أن نقدم هذا الكتاب الذى هو كتابنا الثانى عن السادات • فقد كان مؤلفنا الاول عن بطلنا منذ سنوات ليست بالبعيدة تحت عنوان « السادات •• وثورة التصحيح » ، ومثلما حاولنا فى كتابنا الأول أن نعرض لمفهوم ثورة التصحيح نظريا وفكريا وفى الممارسة ، وكيف تمكن السادات من خلالها ، أن يغير وجه مصر سياسيا وفكريا وماديا •• نحاول ، هنا ، من خلال « السادات •• بطلا للسلام » ، أن نعرض لخط السلام الذى أقره القائد وحققه من خلال دحضه وقهره للقوى المعوقة فى المنطقة ، والذى من خلاله توصل الى معاهدة السلام ، التى تنهى الحرب والتوتر فى المشرق الأوسط ، وتحقق التحرير للأرض العربية ، والذى من خلاله ، أيضا ، تبدأ مرحلة « مصر السلام » •• مصر التى الانسانية المعاصرة •• والتى من خلالها ، يتم تحرير الانسان الانسانية المعاصرة •• والتى من خلالها ، يتم تحرير الانسان المصرى من مختلف التراكمات المعوقة ، مثلما يتم تحرير الأرض ، لتصبح الحياة أكثر رحابة وعظمة ، من خلال الرخاء المادى والعطاء الفكرى ، والابداع الانسانى الخلاق الذى لا يزدهر الا من خلال الأمان والسلام ••

لقد تساءل أكثر من مفكر ، وأكثر من كاتب ، بعد أن حصل السادات على جائزة نوبل للسلام ، وعلى أكثر من عشرة جوائز عالمية ، وبعد أن اختير كرجل للسلام فى العالم :

لماذا ، السادات •• بطلا للسلام ؟

وهذا السؤال ، ليس سؤالا سهلا • فهو يحمل فى طياته مسيرة طويلة ، وحياة زعيم عميقة ، بدأت من « ميت أبو الكوم » فى المنوفية وكللت بجائزة نوبل للسلام ، كما كللت باجتماع الرأى العام العالمى وتأييده لجهود بطلنا الخلاقة التى بذلها من أجل احلال السلام ومن أجل وقف نزيف الدم والحروب فى المنطقة •• والى غير رجعة •• لقد قال سيروس سالزبرجر :

« ان السادات ·· رجل سلام ، لأنه يمثل ارادة الشعوب العربية فى تطلعها للأمن والاستقرار ، والبناء والتقدم » ·

بينما قال فلاح من قرية ميت أبو الكوم ، هو « السيد عبد الغفار » :

« أن السادات ·· رجل سلام ، لأنه يمثل أحلامنا ، وأمانينا ·· فهو مرآتنا فى كل مكان » ·· وفى نفس الوقت ، قال ممثل « تلا » فى مجلس الشعب : ان السادات حلم مصر ·· لانه حلم قريتنا فى تقدمها ···

ولا يسعنى ، وأنا أقدم ، كتابى هذا ، الا أن أتقدم بمزيد الشكر والتحية والتقدير ، لكل الذين ساهموا فى سرعة خروجه الى النور ، وفى مقدمتهم ، الأديب والمفكر الخلاق الأستاذ سعد الدين وهبه ، الذى أبدى حماسه الشديد ، ودفع بهذا المؤلف الى مطابع هيئة الكتاب ، وعمل جاهدا على سرعة نشره وخروجه الى النور ·· الى الفنان الخلاق ، أكرر عميق شكرى وخالص تقديرى ··

وأتقدم بعميق الشكر ، وخالص الحب والتقدير ، الى رجل الاعلام والثقافة والفكر المخلص الدكتور محمد عبد القادر حاتم ، الذى منحنى حبه ، وغمرنى برعايته ، وشرفنى بتقديم هذا الكتاب ، وأنا ، حقيقة ، أعتبر الدكتور حاتم ، أبا روحيا لكل مجاهد ومخلص فى مجال الثقافة الوطنية والفكر القومى فى مصر والمنطقة ، هذا الى جانب أنه يمثل بحق ، مدرسة متطورة عصرية فى الاعلام المصرى والعربى تستهدف النهوض بمصر الى آفاق رحبة تجاه الدولة العصرية وتجاه دولة العلم والتكنولوجيا والايمان ، فلا يمكن أن يؤرخ أحد لثقافة مصر الثورية وفكرها القومى فى الربع قرن الأخير دون افراد الدراسة للدكتور عبد القادر حاتم ، لأنه جزء من ثقافة مصر القومية ، وجزء من الوجدان المصرى والعربى فى تطوره نحو الأسمى والأكمل والأفضل ···

وبعد ·· أتمنى أن يكون هذا الكتاب ، محاولة ، للاسهام ، فيما يدور على أرض بلادنا من مكاسب وانتصارات ، يقودها ويحققها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ·· بطل السلام

عبد المنعم صبحى

الفصل الأول :
من ميت أبو الكوم
إلى جائزة "نوبل"

« ان اختيار الرئيس السادات ، لجائزة نوبل للسلام وفوزه بها ، اختيار مناسب ، وعادل ، لأنه رجل السلام الحق .. »

راجموهان غاندى ـ حفيد المهاتما غاندى ،
الحائز على جائزة نوبل للسلام

● أثار نيل السادات لجائزة نوبل للسلام ، ضجة كبرى فى العالم أجمع وتناولت الأقلام المختلفة هذا الحدث من زوايا كثيرة · وسنحاول ان نتعرض لهذه الأسئلة هنا ، كما نحاول أن نعرض الاجابات التى أجيبت بها ، أيضا ·· فهذه أول مرة تمنح فيها الجائزة لزعيم فى الشرق الأوسط ومن العرب ··

ممند بدايه قرننا هذا ، وجائزة نوبل للسلام ، تعتبر اهم الجوائز فى مجال الفكر والسياسة والفن والعلم · وذلك لعالميتها من جهـة ولقيمتها المادية الكبيرة من ناحيه أخرى ، هذا بالاضافة ، الى انها انحصرت فى البداية فى المفكرين والساسة والعلماء الأوربيين · ولقد صاحب الجائزة منذ البداية دعاية تقول ، ان الجائزة محايدة ، وانها تختار المفكر أو السياسي أو الفنان ، في أي مكان ، مادام عمله الخلاق يخدم السلام · ولكن هذا (الحياد) ، تعرض للشك فترة · فقد كان هناك ثمة انحياز له طابعان : الأول حضاري ، والثـانى سياسى ·· وكان نتيجة الانحياز الحضارى ، تمركز الجائزة فى قلب الحضارة الغربية ·· ولم يستطع المشرفون على الجائزة أن يستشرفوا الجوانب الأخرى من الحضارة ، فتجاهلوا عمالقة الشرق ، لمجرد انهم كانوا ينتمون الى حضارة ذات طابع مختلف ·· وهكذا لم يحصل أدباء أو ساسة كبار مثل : تولستوى ، ومصطفى كامل ، والأفغانى ، وتشيكوف ، وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، ونجيب محفوظ ، وبدر شاكر السياب ، وغيرهم من عباقرة العرب وأدباء ومفكرى الشرق على على هذه الجائزة ·· ولم يحصل عليها من الشرق الرحيب سوى الأديب الهندى تاجور ، وربما كانت فيه عوامل دفعت الى « العطف » عليه ، منها كتاباته الكثيرة بالانجليزية ! أما الانحياز السياسى ·· فكان فى موقف المشرفين على الجائزة من الكتـــاب والمفكرين التقـــدميين واليساريين والاشتراكيين ! فقد رفضـــتهم الجائزة أو تجاهلتهم فى كثير من السنوات ، وهكذا لم يحصل على الجائزة مكسيم جوركى ، الذى يعتبره النقاد فى مستوى الكتاب الذين يستحقون الجائزة عن جدارة ·· وهكذا لم يحصل على الجائزة أيضا ، كازانزاكس ، الذى رشح للجائزة ، لكنه توفى قبل أن يحصل عليها ·· وهكذا لم يحصل عليها أيضا ، باسوس ، أو كالدويل ، أو مالتز ·· وتساءل الكثيرون ، أيضا : لماذا لم يحصل على الجائزة جيفارا ؟ أو لوممبا ؟ أو كاسترو ؟ لكن فى السنوات الأخيرة ، لوحظ ، تغير اتجاه المشرفين على الجائزة فقد بدءوا ينظـــرون الى الشرق ·· وقد قيل ان مكانة الســادات ،

وما بذله ويبذله من جهود من أجل السلام ، لا يمكن لأحد الا أن يشيد بها ٠٠ فقد أصبحت جهوده نحو السلام ، حديث العالم أجمع وموضع تقديره ٠٠

وهكذا يكون منح الجائزة للسادات ، انهاء حاسما لهذه التساؤلات ٠٠ ومن المعروف ، ان جائزة نوبل للسلام ، آنشأها العالم السويدى ألفريد نوبل (١) ، ليريح ضميره ، أو يكفر عن اختراعه لسلاح الديناميت المدمر ! وكان نوبل ، رجلا خجولا ، تعسا ، معذبا ، جم التواضع ، ميالا الى الانطواء على نفسه ٠٠ وكان ضعيف البنية الا نه سجل فى حياته الطويلة التى امتدت الى التسعين ، ٣٥٥ اختراعا صناعيا وعلميا هاما ، بينها كان ذلك الخليط المدمر (الديناميت) الذى توصل اليه فى عام ١٨٦٧ ٠ وكان نوبل شريكا ماليا فى كثير من المشروعات الصناعية فى كل أنحاء أوربا وأمريكا ، فحصل من وراء ذلك على ثروة ضخمة ، وصار قبل وفاته من أغنى أغنياء العالم ٠ وفى نهاية حياته أحس بالحزن والحسرة ، فقد خشى أن تستغل أبحاثه واختراعاته واكتشافاته العلمية فى التدمير والهلاك ، ولذلك ، أوصى بالقدر الأكبر من ثروته الطائلة لانشاء صندوق يستخدم دخله لمنح الجوائز للأشخاص الذين أسدوا أجل الخدمات للعالم وناضلوا من أجل السلام وخدمة البشرية (٢) ٠٠ ومن العبارات المأثورة عن ألفريد نوبل ، قوله : « انى أفضل العناية بمعدات الأحياء على الاشادة بذكرى الأموات ، باقامة النصب التذكارية لهم » ٠ وفى ٢٧ نوفمبر ١٨٩٥ ، حرر نوبل وصيته ، ثم توفى بعد ذلك بفترة قصيرة ٠ وابتداء من عام ١٩٠١ ، بدأ منح جوائز نوبل للسلام ، فى خمسة ميادين أساسية ، هى : الأدب ، الفيزياء ، الكيمياء ، الطب السياسة ، وكان « راجنار سوهلمان » ، أصغر مساعدى نوبل ، وأقربهم مودة الى قلبه ، أحد منفذى وصيته ، وقد نجح فى حسم كافة الخلافات حول الوصية ، وقد صدق ملك السويد والنرويج وقتذاك على الوصية فى ٢٩ يونيو ١٩٠٠ ، وقد نصت وصية نوبل على أن يقوم البرلمان النرويجى بانتخاب الأعضاء الخمسة للجنة اختيار الفائزين بجائزة السلام ، ولكن رغم ذلك ، فاللجنة لها صفة

---

(١) ولد ألفريد نوبل فى استوكهلم ، فى ٢١ أكتوبر ١٨٣٣ ٠

(٢) توفى نوبل فى مدينة سان ريمو ، بايطاليا ، فى ١٠ ديسمبر ١٨٩٦ ، وأعلنت وصيته بعد وفاته بأيام ، لكنها لم تنفذ الا بعد ذلك بأربع سنوات ، لأسباب قانونية ٠

الاستقلال (١) ، بحكم كونها هيئة مستقلة ، وتقام حفلة تقديم الجائزة فى ١٠ ديسمبر من كل عام ، عادة ، فى استوكهلم وأوسلو ، وهو التاريخ الذى يمجد ذكرى نوبل • وقد منحت جائزة السلام ٦٠ مرة حتى الآن ، ولكن عدد الفائزين بها يصـــــل عددهم الى الآن ٧٥ وسبب هذه الزيادة ان الجائزة كانت تقسم فى بعض الحالات بين اثنين من الفـــائزين ، وفى أعوام كثيرة كانت الجائزة تحجب ، فلم تمنح الجائزة لأحد فى ثمانية عشر عاما ، وذلك بسبب الحربين العالميتين وما حدث فى أوقات السلم من عدم الاستقرار أو اختيار محدد •• وقد فاز بجائزة نوبل للسلام ، عدد كبير من أعلام الفكر والسياسة والعلم والفن •• ومن أشهر الحاصلين على جائزة نوبل للسلام ••

● فى مجال السياسة والفكر :

تيودور روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة (١٨٥٨ ــ ١٩١٩) حصل على الجائزة سنة ١٩٠٦ ، للدور الذى قام به من أجل انهاء الحرب بين روسيا واليابان •

وودرد ويلسون الرئيس الأمريكى ، لمساهمته فى انشاء عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى ــ التى حلت مكانها الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ••

لوستن تشمبرلين ، السياسى البريطانى (١٨٦٣ ــ ١٩٣٧) ، لدوره فى عقد ميثاق لوكارنو لتسوية مشكلات الحدود والعـــلاقات بين بريطانيا وألمانيا وفرنسا و ٤ دول أخرى بعــد الحرب العالمية الأولى

داج همرشلد سكرتير عــام الأمم المتحدة ، سويدى ، (١٩٠٥ ــ ١٩٦١) لجهوده فى الصراع الدامى فى الكونغو ••

مارتن لوثركنج ، الزعيم الأمريكى الأسود ، لدفاعه الحار عن الحقوق المدنية للزنوج ، ومناداته بالمقاومة السلمية بغير عنف •

جورج مارشال ، رئيس أركان حرب الجيش الأمريكى ، لدوره فى انشاء (مشروع مارشال) لانقاذ دول أوربا من أزمتها المالية الناتجة عن الحروب ••

الزعيم الألمانى فيلى برانت ، لدوره الواضح فى خدمة السلم الأوربى ودحض الحروب •

(١) تكونت اللجنة التى منحت الرئيس السادات « جائزة نوبل » للسلام، من خمس شخصيات برئاسة السيدة آوسى ليونيز ــ عضو البرلمان النرويجى ••

هنري كيسنجر ، لدوره في أزمة الشرق الاوسط ، وجهوده من أجل السلام .

ايراكو ساتو ، رئيس وزراء اليابان ، لجهوده من أجل حقوق الانسان والحد من الاسلحة النووية .

الرئيس محمد أنور السادات ، لقيامه بمبادرة السلام التي غيرت مجرى الأحداث في الشرق الأوسط والعالم ، ولجهوده التي لا تقف عند حد من اجل السلام .

● وفي مجال الفكر والأدب والعلم :

الشاعر والروائي رديارد كبلنج (انجليزي)
الكاتب المسرحي بترلنك (بلجيكي)
الروائي توماس مان (ألماني)
ونهلم رونتجن ، مكتشف أشعة اكس (ألماني)
مدام كيوري ، مكتشفة ظاهرة الاشعاع (فرنسية)
ماركوني ، مخترع التلغراف اللاسلكي (ايطالي)
الكاتب المسرحي جورج برنارد شو (أيرلندي)
الروائي سنكلير لويس (أمريكي)
الكاتب المسرحي لويجي برانديللو (ايطالي)
نييل بوهر ، مكتشف الذرة واشعاعها (دينماركي)
يوجين أونيل ، الكاتب المسرحي الأمريكي
أندريه جيد ، الكاتب الفرنسي
ت . س . اليوت ، الشاعر والكاتب الانجليزي
الفيلسوف والكاتب الانجليزي برتراندرسل
الروائي والمسرحي الفرنسي البير كامي
الروائي والكاتب السوفيتي بوريس باسترناك
فكتور هس ، العلامة النمساوي ، مكتشف الاشعاع الكوني
هانز بيث ، العلامة الأمريكي ، مكتشف انتاج النجوم للطاقة
ميخائيل شولوخوف ، الروائي السوفيتي
البروفيسور بريجمان أستاذ الفيزياء بجامعة هارفارد بأمريكا
البروفيسور جوليو - كوري أستاذ الفيزيا ء بكوليج دي فرانس
لينوس بولنج ، أستاذ الكيمياء بمعهد التكنولوجيا بكاليفورنيا
الروائي الأمريكي جون شتاينبك

الفيلسوف الفرنسي بول سارتر

وهكذا ... ...

وهكذا نرى ، ان جائزة نوبل ، جزء جوهري من المسعى العالمي ، لاقرار السلام في العالم . فمنح الجائزة لزعيم أو مفكر أو عالم ما ، هي ليست ، فحسب ، تقدير لجهود وفكر هذا السياسي أو المفكر أو الاديب بل أيضا ، مشاركة أساسية وجوهرية لتشجيع جهود السلام كدفعة في ايقاف شبح الحروب والدمار ، اللذين يهددان الجنس البشري بالفناء والهلاك . ومن هذا المنظور الفكري والأيديولوجي ، كان منح السادات **جائزة نوبل للسلام . فقد جاء في قرار الأكاديمية النرويجية التي منحت الجائزة لبطلنا : « انه من أعظم الساسة ، دفاعا عن الحرية والسلام . أكد بصدق نضاله وجهوده ، واصراره ، رغبته التي لا تقف عند حد من أجل السلام ، فمبادرته بالذهاب الى القدس ، تتسم بالجرأة والشجاعة ، ونضاله من أجل السلام يتسم بالصدق والايمان » ..**

وقد أجمعت كل الأوساط السياسية ، في أعقاب نوفمبر ١٩٧٧ أي بعد زيارة السادات للقدس ، على انه رجل السلام للعام . وكان من الطبيعي ، لذلك ، أن يفوز بالجائزة ، الرجل الذي صنع شبه معجزة ، خارقة رشجاعة ، نبيلة ومعطاة ، عبر بها جدار المستحيل وحائط الخوف والشك ، لا بالنسبة لمصر والعرب فحسب ، بل للعالم أجمع ..

وكان الترشيح لجائزة نوبل ، في البداية ، قد تم في سبتمبر ١٩٧٨ وزكي الترشيح اليابان ، والنرويج ، والسويد ، وانجلترا ، والولايات المتحدة . وقد صرحت رئيس لجنة نوبل « أورس ليونيز » ، وهي في نفس الوقت نائبة رئيس حزب العمل الحاكم في النرويج ورئيسة لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان النرويجي : « بأن الرئيس المصري محمد أنور السادات ، كان متوقعا ان يفوز بالجائزة الكبرى ، لأنه خطى الخطوات الأولى في طريق السلام ، بسفره للقدس في نوفمبر ١٩٧٧ ، وبمواقفه الشجاعة والجريئة من أجل السلام » وعندما أعلن فوز الرئيس السادات بجائزة السلام ، اعتبرها كل انسان في العالم يتطلع الى السلام ، تأكيدا لأحلامه ومطامحه من أجل مزيد من السلام . وأعلن العالم أجمع عن سعادته وفرحه ، بمنح الجائزة لبطلنا ، وخصصت صحف ومجلات العالم افتتاحياتها حول هذا الحدث العظيم ، كما خصصت اذاعات العالم وشاشاته الصغيرة والكبيرة تعليقاتها على النبأ . وأجمعت وكالات الأنباء العالمية ، على أن السادات ، « هو المحارب الذي يقيم السلام في الشرق الأوسط » ، وأعلنت

الشخصيات السياسية والفكرية والأدبية فرحتها ، وعلقت على هذا الحدث الجليل ..

ففى لندن ، كتبت صحيفة ال (تايمز) تقول :

« ان حصـــول السادات على جائزة السلام ، تأكيدا لمنطق السـلام وانتصاره .. وقد كان للرئيس المصرى مبـــادرته الجريئة والشجاعة ، فى انتصار وتعميق هذا الخط » .

كما كتبت صحيفة ال (جارديان) ، تقول :

« ان السادات ، يستحق الجائزة عن جـــدارة . فلقد كانت مبادرته للقدس فى نوفمبر ٧٧ ، تتسم ، حقا ، بالشجاعة فهى أكثر الخطوات خيالا فى السلام العالمى ، خلال عام ٧٧ بل وفى الأعوام الأخيرة .. اننا نصفق مرتين أو ثلاثا لفوز السادات بالجائزة » .

وقد عرضت تليفزيونات لندن وباريس وبرلين ، بل ومعظم دول أوربا والولايات المتحدة ، فيلما وثائقيا عرض جهود الرئيس السادات من أجل السلام بدءا من زيارته للقدس فى عام ١٩٧٧ ، وخطابه التاريخى أمام الكنيست الاسرائيلى والمباحثات المصرية ـ الاسرائيلية فى الاسماعيلية الى نهاية عام ١٩٧٨ ، وما تلا ذلك من جهود بلغت ذروتها باجتماعات القمة فى كامب دافيد الذى أسفر عن معاهدة السلام ..

وقد علقت صحيفة « أربيو ريلات » الناطقة بلسان حزب العمل النرويجى الحاكم ، على منح الجائزة للسادات ، بقولها :

« ان منح جائزة السلام للرئيس المصرى محمد أنور السادات قرار شجاع وحكيم ، فجهـــوده من أجل السلام ، تجعله يستحق الجائزة عن جدارة » .

وكتبت صحيفة « النيويورك تايمز » ، تقول :

« ان منح الرئيس المصرى محمد أنور السادات الجائزة ، كان شيئا متوقعا ومنتظرا ، كنوع من تقدير هذه الجهود العظيمة والبطولية لدوره المبدع من أجل انهـــاء الحروب فى الشرق الأوسط ، ومن أجل السلام الشامل على الأرض العربية .. وخطوة الرئيس المصرى للقدس ، ومبادرته الشجاعة ، كانت البداية الحقيقية فى طريق هذا السلام » .

وفى روما ·· أعلن الرئيس الايطالى « ساندرو برتين » ·· ان منح جائزة السلام ، للرئيس السادات ، يكلل جهوده المثمرة التى تحملها وخاضها من أجل السلام ، وحصول الرئيس المصرى على جائزة السلام ، مصدر سعادة حقة لى وللشعب الايطالى ، فالجزاء للجهود مثمر ، وهذا يعطى الآمال فى المستقبل ، ويعطى الاحساس بالتفاؤل فى عـــالم بلا حروب ، فالشرق الأوسط قد مر بحروب صعبة لمدة ثلاثين عاما أرهقته وأتعبته طويلا ·· وفى نفس الوقت ، قال « كنت فيريدليم » وزير الخارجيـــة النرويجى :

« انه من الطبيعى أن يرشح لنيل جائزة نوبل للســلام ، ويفوز بها ، رجال سعوا وناضلوا من أجل السلام ، بعد حرب امتدت ثلاثين عاما · والرئيس المصرى محمد أنور السادات هو الذى بدأ عملية الســـلام ، بمبادرته الشجاعة لزيارة القدس » ·

بينما قال راديو السويد القومى فى تعليقه على هذا الحدث :

« ان الرئيس المصرى محمد انور السادات ، يستحق هــذه الجائزة بسبب جهوده الصادقة من أجل احلال سلام دائم ، وراسخ ، وعادل ، فى منطقة الشرق الأوسط ، التى اعترتها الحرب لأكثر من ثلاثين عاما » ·

وقال راديو لندن ، تعليقا على فوز بطلنا بالجائزة :

« ان نيـــل الســـادات ، جائزة نوبـل ، مصـــدر من مصادر التفاؤل ، بالنسبة للسلام · فالرئيس المصرى بدأ الخطوات الأولى فى عملية السلام » ·

وقال « برونو كرايسكى » مستشار النمسا ·· فى حديث تليفزيونى معلقا على هذا الحدث العظيم :

« ان منح جائزة نوبل للسلام للرئيس السادات ، بمثابة دافع عظيم لمواصلة الجهود لتحقيق السلام الشامل · لقد قام السادات » بمخاطرة عظيمة « من أجل السلام » ·

بينما قال « هيلموت شميت » مستشار المانيا الغربية :

« الجائزة ·· تأكيد لمسيرة الســلام ، والسعى للتوصل الى

نتائج ناجعة ، من أجل السلام ٠٠ والرئيس المصرى محمد
أنور السادات ، جدير حقا ، بهذه الجائزة » ٠

أما « فيلى برانت » المستشار الألمانى ورئيس الدولة الاشتراكية ، فقال :
« أن حصول الرئيس السادات على جائزة السلام ، شىء
طبيعى ٠ فهى بمثابة تكليل وتقدير لجهوده المتعاظمة من أجل
السلام — هذه الجهود التى بدأها بمبادرته الشجاعة » ٠

وفى نيودلهى ٠٠ قال « راجموهان شاندى » حفيد المهاتما غاندى
الحائز على جائزة نوبل للسلام :

« ان اختيار الرئيس محمد أنور السادات لجائزة السلام
وفوزه بها ، اختيار مناسب ، وعادل ، لأنه رجل السلام
الحق » ٠

أما « دودى فيللر » ، أحد زعماء حركة السلام البارزين ٠٠ فقال :
« أنا ، حقا ، سعيد ، لفوز الرئيس السادات ، بجائزة
نوبل ، لأن هذا يعنى أن السلام قريب ٠ فالسادات رجل
سلام يبذل جهوده العظيمة من أجل احلال السلام فى الشرق
الأوسط »

وفى باريس ، أشاد « لوى دى جيرينجو » وزير خارجية فرنسا
بالرئيس السادات ٠٠ وقال ان نيله لجائزة السلام ، تكريم لجهوده
العظيمة من أجل السلام :

« فنيل السادات الجائزة ، دفعة ، لصناع السلام فى الشرق
الأوسط ، وفى عالمنا المعاصر »

بشكل أو بآخر ، كان حصول الرئيس السادات على جائزة نوبل
للسلام ، موضع تقدير وحفاوة مختلف المفكرين والساسة والزعماء والكتاب
فى كل مكان من العالم ٠ وقد تسلم بطلنا براءة جائزة نوبل والمدالية
الفضية من المهندس سيد مرعى الذى كان قد تسلمها فى احتفال ضخم فى
أوسلو نيابة عن الرئيس ، وقد قال معلقا على نيله للجائزة :
« اننى سعيد جدا بحصولى على جائزة نوبل ، للمعنى الحقيقى
الذى تعنيه الجائزة » ٠

وأمام أعضاء الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى، قال بطلنا ، وهو يتحدث
عن الجائزة ٠ فرحا سعيدا بما تحمله من معان عظيمة :

« انني سعيد جدا بحصولي على الجائزة ... ... ان القيمة المادية للجائزة أعطيها لميت أبو الكوم لتطوير القرية ..
أما القيمة المعنوية للجائزة ، وكل ما وراءها من مغزى ومعنى ، فهو حرص العالم وتقديره للشعب المصرى الذى وقف وراء المبادرة . ان العالم وقف مبهورا ، بموقف الشعب المصرى ولكم . انى أشكر لجنة نوبل للسلام ، ولكن ، لكى ، اكون منصفا ، فانى أقول أن هناك جنديا مجهولا عمل ويعمل بكل طاقاته وقدراته برغم منصبه الخطير ، وهو الرئيس الأمريكى جيمى كارتر . ان الرئيس الأمريكى والشعب الأمريكى .. احتضنوا المبادرة .. وان الشعوب فى أوربا الغربية : انجلترا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وألمانيا ، ومئات الملايين من جميع شعوب العالم ، أيدوا مصر .. انى أهدى لهم ، جميعا هذا التكريم العالمى »

لقد كانت جائزة نوبل للسلام ، نعم التقدير لبطل يخوض أشرف معركة لشعبه والشعوب المنطقة من أجل انهاء حالة حرب دامت ثلاثين عاما. وضاع عبرها مئات الألوف من الأنفس ــ وأزهقت خلالها آلاف الأرواح ومئات الملايين من الجنيهات .. وقد جاءت الجائزة لتضع الغار على جبين بطلنا ، وهو يدوس بأقدامه الشوك الذى طالما أدمى أقدامنا وأقدام آبائنا والذى كان من الممكن أن يدمى ويدمى أقدام أولادنا فى السنوات القادمة . لولا فطنة وحكمة السادات ، وبعد نظره الثاقب .. وهو قد سعى الى السلام من منطق القوة لامن منطق اليأس أو الضعف ، فهو الذى فرض السلام بارادته ، وهو الذى زرع السلام بوعيه الخلاق ، فكان التجسيد الحى المعبر عن مطامح وأحلام مصر والمنطقة ، فى تجنيب الأرض العربية ويلات الحروب والدمار ، وفى تعبيد الطريق الى السلام .

ولذلك لم تكن جائزة السلام ، بالنسبة لبطلنا منحة ، بقدر ما كانت حقا ... لأن شعب مصر ، وشعوب المنطقة ، والعالم ، منحوه ، هذه الجائزة ، ثقة به ، وايمانا به ، كفارس أمل يعبر عن خير مطامح وأحلام المرحلة فى تطورها ، فكريا وسياسيا وحضاريا ..

فارس الأمل :

فارس المحبة ، والسلام ..

يدوس الشوك بأقدامه ، لينبت الزيتون .. ويمتد .. ويمتد .. ليفرش بظلاله أرضنا الرحبة ، التى طالما أنت ، التى طالما عانت ، من ويلات الحروب والدمار ..

الفصل الثانى :

فارس الأمل والسلام القادم من ميت أبو الكوم

« ان السنين التى عشتها فى القرية قبل أن أنتقل الى المدينة ، ستظل بخواطرها وذكرياتها ، زادا يملأ نفسى ووجدانى بالصفاء والايمان ... فهناك ، تلقيت أول دروسى فى هذه الحياة ... تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة ، التى لا تبخل على الناس بالزرع ، وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة ... تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء ، الصامدة ، وعلى لسان الصفصافة الخجول الوديعة ... تعلمتها على حافة الجدول الصغير ، الذى ينقل الى الحقول ترياق الحياة فى رضى وقناعة ... تعلمتها فى ظلال الأمسيات البريئة ، مع زملائى من شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شارع القرية الساكنة ، الهاجعة » .

محمد انور السادات

● كتب جواهر لال نهرو ، يقول ، في معرض حديثه عن الزعيم أو المفكر السياسي ، ومدى تأثير البيئة في صياغته :

« ان أي قائد ، أو أي زعيم ، أو أي مفكر ، أو أي منظـر سياسي ، لا يصيغه فحسب ، الثقافات والنظريات والأفكار المعاصرة ، أو الثقافات السلفية فحسب ، أيضـا ، تعركه وتصيغه التجارب والحياة ••• وربمـا تبدو البيئة الأولى ، ذات أهمية خاصة داخل الرجل ، ملامح الشخصية الأولى ، وكل ما يجيء بعد ذلك يعمق هذه الشخصية » •

وأصدق ما ينطبق هذا ، ينطبق على بطلنا محمد أنور السادات •

فقد ولد محمد أنور السادات في بيئة اتسمت بملامح خاصة ، كانت هي الصورة المصغرة لمصر ــ الأم ، ومنها خرج الى العـالم العريض ، الى بوتقة النضال والكفاح اليومي ، الذى خاضه ابتداء من معاركه فى الممارسة اليومية البسيطة من أجل الحياة ، الى نضاله ضـــد الاستعمار وقوات الاحتلال والسراى فى الأربعينات والخمسينات ، الى صـــعوده للحكم ، الى صراعه ضد مراكز القوى فى مصر وتحقيقه لمبادىء ثورة مايو : ثورة التصحيح ، وتغييره لمسارات مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الى اتخـاذه القرار وخوضه غمار حرب أكتوبر ٧٣ بشرف ، الى تحركاته السياسية والدبلوماسية فى ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ ، الى مبادرته الجـــريئة الشجاعة فى نوفمبر ٧٧ ، بسفره للقدس ، الى نجاحه فى كامب دافيد ، الى توقيعه معاهدة السلام فى مارس ٧٩ •••

وهى رحلة ، جـد ، شاقة ، وطويلة ، مليئة بالجهـد والمعاناة ••• رحلة بطل مغوار يذكرنا ب (سيزيف) ، الذى كان يدفع بالحجر الصلد أمامه وهو يصعد الجبل ، ليصل الى القمـــة دون أن يعرف طريقا لليأس أو التراجع •••

هذه الرحلة النبيلة الشريفة التى قطعها بطلنـا المغوار من « ميت أبو الكوم » الى « كامب دافيد » ••• أو من قريته الصغيرة فى المنوفية الى جائزة نوبل ••• أو من دار الســـلام الى معاهـــدة الســـلام ، ومصر الســـلام •••

انها رحلة بطل حقيقى ، الاقتراب منها ، هـــو الاقتراب من مصر ، وعطاء مصر ، ونبل مصر ، واصرار مصر ، وشجاعة مصر •••

وقد بدأت هذه الرحلة العظيمة من قرية صـــغيرة وادعة ، آمنة ، لا تختلف ملامحها عن أية قرية مصرية فى ريف مصر •••

لا فى نبتها ، ولا فى بيوتها ، ولا فى دروبها أو طرقاتها المتعرجة ٠٠٠ رائحة الأرض الطيبة تمتزج بعطر النبت والأزهار ٠٠٠ أينما سرت وأينما حللت ٠٠٠ لا تبعد عن القاهرة طويلا ، تصل اليها فى أقل من ساعة ونصف :

ميت أبو الكوم ٠٠٠

أو دار السلام ٠٠٠

هذه القرية الصغيرة ـ الكبيرة ٠٠٠ لا يسكنها أكثر من ثلاثة آلاف نسمة ، ولا تزيد مساحتها عن ألف فدان ، تحتل مكانة عالية ، الآن فى العالم أجمع ٠٠٠ فهى التى أنجبت بطل السلام ، الذى كلل العالم جهوده بمنحه جائزة نوبل للسلام ٠٠٠ وهى القرية التى نما بين دروبها وطرقاتها، وتنفس عطرها ، بطلنا ٠٠٠ شهدت طفولته وصباه ، وتلقى فيها أول تعليمه ، وهى تلقى الكثير من الأضواء والظلال على حياة السادات ، وتحتل مكانا عاليا فى وجوده ، تجسده كلماته هذه :

« ان السنين التى عشتها فى القرية قبل أن أنتقل الى المدينة ، ستظل بخواطرها وذكرياتها زادا يملأ نفسى ووجدانى بالصفاء والايمان ٠٠٠ فهناك ، تلقيت أول دروسى فى هذه الحياة ٠٠٠ تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة ، التى لا تبخل على الناس بالزرع والثمر ، وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة ٠٠ تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء ، الصامدة ، وعلى لسان الصفصافة الخجول الوديعة ٠٠٠ تعلمتها على حافة الجدول الصغيرة ، الذى ينقل الى الحقول ترياق الحياة فى رضى وقناعة ٠٠٠ تعلمتها فى ظلال الأمسيات البريئة مع زملائى من شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شوارع القرية الساكنة الهاجعة ٠٠٠ »

قرية ميت أبو الكوم ٠٠٠

الزمان منذ ستين عاما ٠٠٠

فى بيت قريب من مسجد القرية ، والذى يتوسطها تماما ، والذى كان كثيرا يذهب اليه بطلنا وهو صغير لم يتجاوز العاشرة بعد من عمره ، يستمع الى القرآن والابتهالات ٠٠٠ فقد كان محبا للقرآن ، حتى أنه حفظ القرآن كله وسنه لم تصل بعد الى العاشرة ، وكان السادات ، فى ذلك الوقت ، لا يتجاوز من العمر الثامنة أو التاسعة ، عندما كان يتردد على

مقام سيدى أبو الكوم – أو سيدى ابو القوم ، في العصارى ، يخلع حذاءه ، ويستلقى على الحصير ، طلبا للراحة ونشدانا للهدوء .. وفى الأمسيات كان يخرج مع رفاقه وأصدقائه الى الزراعية ، أو الترعة ... يتمشى .. يتنفس هواء القرية .. وكان يعود مع رفاقه الى البيت مع الغروب أو قبيل صلاة العشاء ...

وقريبا من مسجد القرية ، كان يقع كتاب القرية ، أو بعض أطلاله التى أعيد ترميمها ، وكان الشيخ عيسى ، أو سيدنا ، هو الذى علم السادات فى كتاب القرية ، وهو يذكرك ب (سيدنا) ، فى كتاب طه حسين بعزبة الكيلو بصعيد مصر ، والذى تحدث عنه فى رواية (الأيام) طويلا ..

وبيت السادات ، فى ميت أبو الكوم : بيت صغير ، من دور واحد . فى الخارج المصطبه والمضيفة التى يجلس فيها مع أهله وعشيرته وأقربائه، وحول البيت تنتشر بعض أشجار الجميز والسيسبان والتمر حنة والصفصاف ، وتمتد الدروب لتتشابك بدروب وحوارى وطرقات ، تشكل القرية الصغيرة – الكبيرة ، التى تتبع مركز تلا ...

فى هذه الدروب ، والطرقات .. تحت الصفصافة ، وتحت الجميزة وعلى الزراعية .. نبتت ونمت طفولة بطلنا ، وامتزجت بأنفاس القرية وعطر الأرض ، وبأحلام الناس البسطاء الطيبين من أهل بلادنا ...

كان طفلا صغيرا ، نشأ فى أسرة متوسطة الحال ، جاهدت ، وكافحت وكابدت ، من أجل أن تلحقه بالمدرسة الحربية .. فى القاهرة ..

ان انطباعات الطفولة ، الفوارة ، القوية ، التى ظل السادات ، زمنا طويلا يحسب أنه قد نسيها تماما ، والتى عادت بعد أن مر عهد الأحلام فى حياته ، هذه الانطباعات ، هى التى تحدث عنها فى أكثر من مناسبة وهى التى شاركت فى صياغته الأولى ... فمن خلال علاقته البسيطة ، العميقة ، بفلاحى القرية ، تعرف على حياة الفلاحين التعساء ، وعرف أول حقائق الحياة ...

نظر السادات حوله .. الى القرية الصغيرة .. الى البيوت الصغيرة المصنوعة ، معظمها من اللبن والآجر ، والى الأشجار ، وعيدان القمح اللينة، ولم يكن بعد صبيا .. ثم نظر الى الفلاحين ، الذين يفترشون الأرض تحت شجرة الجميز أو الى جوار الساقية أو على الأرض المجاورة للمصرف ، يأكلون الجبن (القريش) والبصل أو السريس أو الجعضيض ، ثم تنهد طويلا ، كيف يعطى هؤلاء ، هذه الخضرة العظيمة ، نبت الأرض ، والطحين ،

ولا يأخذون الا الشحيح جدا من الطعام ، ولا يأخذون من المأوى الا القليل النادر ...

ونظر الى بيوت الفلاحين ، معتمة معظمها ، بائسة معظمها ، ليست الا حجرة فى الغالب ، تعلوها كوة صغيرة ، يتسلل منها الضوء الكابى للشمس فى النهار ، ولا يزورها ضوء القمر الا فى الليالى الطويلة ، بينما فى كثير من الليالى لا يطل داخلها الضوء ...

وأحس بالحزن ...

كيف يحيا هؤلاء ، داخل هذه البيوت الوضيعة ، وهم الذين يمنحون الحياة لكل الناس بقوة كدحهم اليومى ، وبصبرهم الطويل الذى لا يفل ..

ان السادات ، الصبى يحلم ، ويحلم ...

عيناه تتفتحان عن أمل عظيم ...

أمل أن يرى بلاده حرة تبتسم . أمل أن يرى الضحكة فى عينى أهل بلاده . هؤلاء الذين يمنحون النبت والطحين والحياة ، لا يملكون القدرة على الابتسام من فرط شقائهم ومن عدم اطمئنانهم على غدهم .. والثمار أبدا لا تنمو ، الا فى ظلال الأمان .. والورود لا تتفتح ، الا فى أمان الطبيعة ... والطيور لا تضع بيضها ، وتفرخ ، الا فى أمان ، وفى عدم خوف ...

الثمار ، أبدا لا تنمو ، الا فى أمان ..

الحياة ، لا تجود ، الا فى ظلال بلا خوف ...

والشمس ، لا تعطى دفئا وحياة ، والغيوم تهدد الضوء ..

فى أجازات المدرسة الصيفية ، عندما نما عوده ، وشب عن الطوق ، لم يكن يذهب الى شواطىء الاسكندرية أو راس البر كأبناء البورجوازية الموسرين ، بل كان يذهب الى قريته الآمنة الوادعة ، الحبيبة ... ميت أبو الكوم .. يحيا مع الأهل والأصدقاء والأحباب .

لقد كانت طفولته ، قلقة ، شريدة ، يملؤها الحلم بأمل عظيم ، أمل أن يرى عيون بلاده بلا دموع وبلا تعاسة ، وبلا خوف ...

أن يرى الناس فى بلاده يحيون فى سلام وبحبوحة وخير وأمان ...

السنوات الأولى في حياة السادات ، كانت تجللها العتمات والشقاء ··· فقد كانت سنوات الحرب العالمية الأولى ، مليئة بالتعاسة ، ورماد الحرب يتناثر الى كل القلوب والنفوس فى كل مكان··رماد الحرب الذى حول كل آمال الناس الوردية الى أوراق يابسة جافة ·· وانتهى تقسيم العالم كله بين حفنة من الدول الاستعمارية : أمريكا ، بريطانيا ، فرنسا ، هولندا ، بلجيكا ، المانيا ، ايطاليا ·· وكانت تركيا في ذلك الوقت حليفة لألمانيا ، فراحت الصحف المصرية تنشر بعناوين ضخمة انباء عن رغبة تركيا فى صلح منفرد ، وكان المجتمع المصرى فى ظل هذه الأوضاع ، يزداد تمزقا واهتراء : ازداد الأثرياء ثراء ، وازداد الفقراء فقرا ·· وكانت القرية المصرية ، صورة واضحة لهذا الخراب والدمار والشقاء :

ـ ما أمر الحروب · انها تدمر النفوس والأحلام !

انها تقتل الحب والحياة ··· !

احتكرت الحكومة البريطانية ، فى ذلك الوقت ، محصول القطن كله وبلغت خسارة مصر من جراء ذلك ٣٢ مليونا من الجنيهات ، وارتفعت أسعار الحاجيات ارتفاعا مطردا ، لاسيما أسعار الحبوب والأقمشة والوقود·· وما أن أعلنت الهدنة ، وذهب ثلاثة من أبناء مصر ، هم : سعد زغلول ، وعلى شعراوى ، وعبد العزيز فهمى ، الى دار الحماية ، وطلبوا من عميدها الاذن بالسفر الى مؤتمر الصلح ليدافعوا أمامه عن القضية المصرية ، حتى بدأت القرى المصرية تشعل الأضواء ، بعد فترة من العتمة خلال غارات الحرب ، ولكن رغم « عودة الضوء » الا ان هذه القرى ، وهذه المدن ، اخذت تجتر آثار الحرب من رماد ودمار ، خاصة ، وأن البلاد كانت فى حالة احتلال ···

وفى هذه السنوات ، كانت طفولة السادات تنمو ، بين دروب ومروج وطرقات القرية ··· فى ميت أبو الكوم وطوخ دلكة وكفر طبلوها ··· يتنقل بين كتاب القرية ، ويتلقى تعليمه الأول على يد سيدنا (الشيخ عيسى) ، ثم (عريف القرية) ، ثم (مدرسة الأقباط) ، حتى نما عوده ، وأرسله أهله الى القاهرة ليكمل تعليمه ···

سنوات الطفولة والصبا ، أجمل سنوات العمر · لوحة البراءة التى تمتص كل صور الواقع فى خصوبة غريبة ، هذه السنوات التى قال عنها مفكر وشاعر مناضل مثل « فيدريكو جارسيا لوركا » ، وهو يتحدث عن طفولته : « انها بمثابة العطر الأول فى فجر الصباح ، لها ملمس الندى ،

وسحر الزمن ، وبنفسجية اللحظة ، ولا يمكن أبدا أن تفارق العمر مهما امتد ، لأن لمساتها خصبة قوية ، وما يحسه المرء في طفولته ويراه ، يتأثر به الى أبعد الحدود ، ويشارك في تكوين رجولته وتصرفاته في المستقبل »٠٠

وقد كان للسادات ، الصبى ، فى هذه السنوات ، انشغاله بالدين ٠٠ فقد كان يفكر كثيرا فيما يقرأ فى الكتاب والمدرسة ، وقد حفظ القرآن الكريم ، ثم قرأ العهدين القديم والجديد ، بحكم دراسته في مدرسة الأقباط بطوخ دلكه ٠٠٠ وكثيرا ما فكر فيما قرأ ، وما حفظ عن ظهر قلب ٠٠٠

واتصلت أيام الصبى ، السادات ، بين البيت والكتاب ومسجد القرية ، وبيت الأعمام والأهل والأقارب ، وحلقات الذكر التى كانت تقام فى القرية بين وقت وآخر ٠٠٠ وفي العصاري ، وفى الآمسيات ، وقبل صلاة العشاء ، كان يمرح ويلعب مع رفاقه ٠٠٠ وكانت من أحب الألعاب الى قلبه « السيجة » ، لكنه شغف الى حد كبير بتلك اللعبة التى ابتكرها صديق له كان يلازمه في الكتاب ، ثم فى المدرسة الابتدائية ، فقد همس اليه ذلك الصديق ، أنه اهتدى الى نوع من السحر ، يستطيع به أن يجعل الناس جميعا على ظهر الأرض أحبابا بعضهم الى بعض ، وأن سحره هذا منقوش على غصن أخضر دفنه فى مكان ما بالقرب من موضع حدده لهم ، ثم دعا الصبى السادات ، وبقية أصدقائه الى الجلوس معا ، جنبا الى جنب فى بقعة صغيرة ، يظللهم سقف واحد ، كما يفعل النمل لتكون لهم مثل (أخوة النمل) ومحبة جماعاته ، فأقبلوا حيث تلاصقوا تحت غطاء من القماش وضعوه على بعض الكراسى وتضاحكوا في عطف ومودة ٠٠٠ وأخذ يحدثهم ، السادات ، الصبى ، عندما رأى ذلك ٠٠٠ انه الحب المشترك المتبادل يستطيع الناس أن يكونوا اخوة ، وهكذا ، صارت ، هذه (اللعبه) ، من أحب الألعاب الى الأخوة ، وبالذات ، بالنسبة للصبى الصغير ٠٠٠ فلكم تجمع الصبية الصغار ، وبينهم السادات ، الصغير ، تحت شجرة جميز أو فى ركن من الأركان ، ومثلوا (أخوة النمل) ٠٠٠

وأحدثت (اللعبة) ، أثرها العميق فى خيال الصبى الصغير ووجدانه ، فقبل أن يبلغ التاسعة من عمره ، استقر فى نفسه حلم لذيذ عن عالم جديد يرتبط فيه الناس بعضهم ببعض برباط الحب والمودة والتآخى والأمان ، حتى يصبحوا بذلك اخوانا بلا عداء ٠٠٠ وبعد سنوات من تركه القرية ، عند ما كان فى القاهرة ، تذكر الفتى الحادث ــ أو (اللعبة) ، عند ما شاهد شجارا عنيفا فى حى تحت الربع فى عصر يوم من أيام رمضان ، وقبل أن ينطلق مدفع الافطار ، رددت نفسه كلمات الحلم اللذيذ :

ـ متى يهجر الناس الحقد والشجار ، ويصبحوا أحباء يتعاونون في بناء حياتهم ، ويصبحوا أخوة النمل ؟!

ونفس الحلم اللذيذ نراه يتردد صداه وهو يعيد على نفسه كلمات « سورة النمل » ، التى حفظها عن ظهر قلب :

« ··· وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ، ان هذا لهو الفضل المبين · وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير ، فهم يوزعون ، حتى اذا أتوا على واد النمل ، قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون · فتبسم ضاحكا من قولها ، وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك في عبادك الصالحين ··· »

وهذا المثال ، الا وهو (أخوة النمل) ، تعلق الصبى به ، وظل لايفارق مخيلته ، ونما معه وداخله ، وبقى قائما فى نفسه لايتغير ، وتلمسه واضحا حتى فى مقالاته وكتاباته التى كتبها بعد ذلك ، ففى كل مقالة ، وفى كل موضوع كان السادات يعلن عن الحب الأخوى والانسانى ، ويدمغ بقوة كل كراهية وكل بغضاء من شأنها أن تعوق تقدم البشر ومسيرتهم من أجل الخير والحب والأمل والسلام ، لذلك ، نجده ، دائما ، يعلن عن العودة الى مبادىء القرية ، مبادىء الحب والسماحة ··· ويقول ، أن مصر الكبيرة ، لابد أن تعود الى صورة الأسرة البسيطة حتى تقضى على متناقضاتها ، فلا يمكن أن يكون هناك تقدم أو تمدن أو تحضر ، ولا يمكن أن يكون هناك حب وأمان ، دون أخلاقيات طيبة ، ودون ايمان عميق نابع من داخل الانسان :

« لماذا الحقد والفرقة والتشتت ؟ لن نستطيع أن نبنى بالحقد أبدا · دعونا نضرب كل هذا ، ونعود لجوهر عقيدتنا ··· للحب ، والأخوة ، والقوة التى تتولد بالايمان وبالثبات وباليقين · دعونا نعود الى جوهر رسالتنا ··· الايمان هو

ما وقر فى القلب ، الايمان ، أخوة ، محبة ، يقين ، غيرة على قيمنا ، وعلى حياتنا ، وأرضنا ، أيضا ۰۰۰ »

وكان تنازله عن قيمة جائزة نوبل (١) ، لقرية ميت أبو الكوم ، عندما نالها في ديسمبر الماضي ، تجسيد حي لهذه المعاني البسيطة العميقة ۰۰۰ فالقرية فى نظره هى النبع الأصيل ۰۰ هى «دار السلام» الأولى ۰۰۰ ومنها بدأت الخطوات الأولى في الرحلة الرحبة نحو الوجود والحياة ۰۰۰ والارتباط بالقرية ، ارتباط بمبادىء الفروسـية والنبل والحكمة ۰۰۰ ارتباط بالحب والأخوة والسلام ۰۰۰ وهو يؤكد :

« انني اعتقد أنني لو تخليت عن الروح الريفية التي تسرى في دمى ، سوف أفشل تماما في حياتي »

القرية في نظر الرئيس السادات ، هي الصورة المصغرة ، والأولى للمجتمع ، ولا يمكن فهم مشاكل المجتمع ، ككل ، فى تنوعها ، وفي تشابكها والتحاماتها ، الا بفهم مشاكل القرية ۰ وعن طريق قرية «ميت أبو الكوم» ، وملاصقة مشـاكلها ، والاقتراب من قلوب أبنائها ، كانت (الانفتاحة) الأولى للسادات ، نحو محاولة فهم مشـاكل المجتمع المصرى العريضـة ۰ فلقد أثارت القرية ، في نفسه ، سؤالا ملحا ، منذ أن كان طالبا بالمدرسة الحربية في بداية الثلاثينات :

« ولماذا يحيـا الناس هنا ، فى القرية ، فى ألم وتعاسة ، بينما يمرح غيرهم في المدينة ، ويطربون ، رغم أن هؤلاء يزرعون كل شيء للمدينة ؟ » فالبسمة التي تتألق على شفاة أهل المرح والسعادة والانطلاق فى المدينة ، أساسها ونبعها من القرية ، بينما صناع البسمة ، أنفسهم ، لايملكون القدرة على الابتسام ، فحياتهم تمتلىء تعاسة وعذابا وشقاء ، وعلى حد تعبير « فيديل كاسترو » : « ان القرية تضع البذرة الأولى لميلاد الأطفال ، بينما تختطفهم المدينة ۰۰۰ تتوهم ، وتستولى عليهم ، باسم شرعية السلطة ، ويبكي صناع الميلاد الأول أرحامهم ، ويمضغون آلامهم في حسرة وحزن ، بينما أهل المدينة يبتسمون ويضحكون ويرقصون ، لأن الهدايا قد جاءت اليهم من القرية ، بل يصرون على احتقار جهد هؤلاء الكرماء ، ويصرون على استغلالهم ، فهم يؤمنون أن الاعتراف بالجميل أو بالجهد الانساني ، قد يجعل

---

(١) قيمة جائزة نوبل للسلام ، قدرها ٣٧٣ الف كرونة ، أى ما يعادل ٧٥ الف دولار ۰ أعلن الرئيس السادات ، أنه تنازل عنها لقرية ميت أبو الكوم من أجل اعادة تعميرها ، وأعلن هذا فى ١٤ ديسمبر ١٩٧٨ ۰

هؤلاء الفلاحين يحسون بآلامهم الحقيقية ٠٠ ! وفى الحقيقة لن يصلح هذا التصدع ، الا اذا امتلك أصحاب البذرة الحقيقة مستقبل أبنائهم ، فى ذلك الوقت تتحطم شوكة المتعجرفين المستغلين ، ويعود الحق الى نصابه : الى لفلاحين ٠٠ »

لقد أحس السادات ، منذ البداية ، بذلك القهر الواقع على كاهل الفلاحين ٠٠ فهم يعطون ولا يأخذون ، يمنحون الثمار بينما تداس أعناقهم ومصائرهم ، يحيون فى الظلام وفى ظلال النسيان ! وتعمق هذا الاحساس لدى السادات ، عندما بدأ يقرأ كتب التاريخ والثورات ٠٠٠ والحضارات ٠٠٠ وقد أحس ، بطلنا ، منذ البداية ، أنه لا يمكن التحرك ، أوفهم الأسباب التي تجسد المأساة ، دون دراسة تاريخ الشعوب ٠٠ وحضاراتها ٠٠٠

ومن دراسة بطلنا ، لحضارة وتاريخ مصر ، خرج بنتيجتين جوهريتين: أولا ٠٠ ان مأساة الشعب فى مصر ، تكمن طوال سبعة آلاف سنة ، في ذلك التناقض الواقع بين السواد الأعظم المستغل المقهور والأقلية المستغلة والقاهرة ٠ ثانيا ٠٠ أنه لا يمكن حل هذا التناقض ، الا باعادة الحق الى نصابه ، واقرار العدل وضمان مستقبل الشعب مصيريا وديمقراطيا ٠٠٠

●

الى نفس الأرض التى كتب عنها الكاتب الايرلندى برناردشو ـ الحائز على جائزة نوبل ـ المنوفية ، ينتمي محمد أنور السادات ٠٠٠ فقد ارتبط اسم المنوفية فى ذهن الكاتب الايرلندى بحادث دنشواى الذى وقع في يونيو ١٩٠٦ ٠٠٠ وكانت هذه الأرض منطقة صدام بين البارود والحمام ٠٠٠ من خلال ذلك الحادث الأليم الذى كشف عن فظاعة الاحتلال البريطاني ونبل وطيبة وبطولة أهل هذه الأرض الطيبة ، وما حدث ، ألهبت مشاعر الكاتب الأيرلندي ، فكتب يقول : « ان بطولة هذه القرية الصغيرة ، تفوق بكثير مفاخر ومساخر الامبراطورية التى لاتغيب عنها الشمس ، فكيف يمكن أن يتأتي لامرىء ما أن يطلق النار على أناس عزل بسطاء ، هذا ما حدث في هذه القرية الآمنة التى لايملك أهلها الا الطيبة وأبراج الحمام ، بينما الغزاة من جنود الامبراطورية يملكون البارود والعدوان » ٠٠٠

وحول بطولات دنشواى ، وغيرها من القرى المجاورة للمنوفية ، سمع بطلنا فى صباه العديد من قصص البطولة الوطنية التى أثرت فيه ، وشاركت فى نسج فكره وبلورت شخصيته ، تماما ، كهؤلاء المفكرين والساسة الذين أثرت « حكايات القرية » فى بلورة شخصياتهم وأفكارهم،

وبيئتهم : ليوتولستوى الذى أثرت فى أفكاره وفلسفته وأعماله ، ذكريات قرية « ياسنايا بوليانا » فى مقاطعة اكترانسلافا فى ريف الروسيا ٠٠٠ ومحرر العبيد ابراهام لنكولن الذى نصب رئيسا للولايات المتحدة فى عام ١٨٦١ ، ولم تفارق مخيلته ، أبدا ، ذكريات قريته الصغيرة « كنتكى » ، والتى تعرف ، الآن ، باسم (بلارو كاونتى) ، وكذلك ، جيفارا ، بطل الثورة فى أمريكا اللاتينية ، والذى اعترف بأن قريته الصغيرة فى جبال سييرا مايسترا ، كانت دائما ، هى صورة العالم المصغرة ، والتى مثلت فى ذهنه صورة البؤس والعذاب وعدم الأمن ، والتى أصر جيفارا أن يخلص العالم من شرورها ، حتى أنه قال : « ان قريتى الصغيرة ، دفعت فى نفسى الشعور بالثورة منذ الصغر ، وكانت هى بداية الطريق للمسيرة من أجل التحرير » ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠

كذلك ، بطلنا ٠ أثرت فيه قريته الصغيرة « ميت أبو الكوم » ، الى أبعد الحدود ، وشاركت فى نموه ، وبلورة شخصيته ، حتى أنه كتب يقول عن تأثير القرية فى حياته :

« ان أول كتاب زرع الثورة فى نفسى ، لم يكن كتابا بالمعنى المفهوم الذى نعرفه عن الكتاب ، وانما كانت أحاديث جدتى فى أذنى ، ونحن نستلقى فى ليل الشتاء الطويل على الفرن فى قاعة دارنا بالريف ٠ كنت يومها طفلا ، لا أنام قبل أن أسمع حكاية أو حكايتين عن الشاطر حسن وست الحسن والجمال ٠٠ الا أن جدتى شاءت أن تمزج هذه الحكايات بحكاية خالدة عن قرية لاتعد الا قليلا عن قريتنا ، هى دنشواى ،وكانت رواية جدتى رحمها الله عن قصة دنشواى، عبارة عن زجل جميل يناجون فيه (زهران) ، ذلك البطل الذى ضربوه بالسياط ، ثم شنقوه أمام القرية بأكملها ٠٠ ولابد أن جدتى قد حضرت هذا الذى جرى ، فقد كانت فى حديثها تنفعل أشد الانفعال ، وتحكى عن بطولات (زهران) وكأنما هو الفارس الأول ورمز كل شجاعة وكل اقدام ، ثم تنتهى القصة بذلك الغدر اللئيم الذى ارتكبته بريطانيا أمام أعين أهل القرية الوادعين »

أنور السادات ٠٠٠

ابن القرية المصرية ، البسيطة ، فى نقائها ، فى معاناتها ، فى رغبتها المحبة للسلام ٠٠٠ الذى جاء الى المدينة حاملا داخله أنبل ما فى

الريف المصرى من قيم حب وحلمه واخلاقيات ونبل ••• والذى خاض تجربته النضاليه الرحبه ، العظيمه ، فى الاربعينات والخمسينات ، منذ أن تخرج من المدرسة الحربية ، الى نضاله ضد الانجليز والسراي في الاربعينات ، الى سجنه أكثر من مرة واعتقاله من أجل وطنيته ، الى مشاركته في معارك القناة في مطلع الخمسينات ، الى مشاركته البارزة في حركة الضباط الأحرار دوره الطليعي في ثورة ٢٣ يولية ٥٢ ، الى تقلده الحكم ورياسته للجمهورية في أكتوبر ١٩٧٠ ، الى قيامه بثورة التصحيح الكبرى في ١٥ مايو ١٩٧١ ، الى أعلانه القرار لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، الى انتصاره وعبوره بمصر والعرب الى ما رفع جباه الأمة العربية وأعاد روحها ، الى مبادرته الشجاعة بسفره إلى القدس في نوفمبر ١٩٧٧ ••• الى ذهابه الى كامب دافيد ، وتوقيعه معاهدة السلام •• •••

هذا الرجل ـ أو هذا الفارس القادم من ريفنا المصرى ••• ومن قريته الصغيرة الوادعة « ميت أبو الكوم » ، هو الرجل الذى فاز بجائزة نوبل للسلام ، وهو الرجل الذى تمكن بحكمته الثاقبة وبعد نظرة الخلاق، في أن يكشف مباحثات كامب دافيد ويصل بها الى بر الأمان ، بتوقيع معاهدة السلام في مارس ١٩٧٩ ، وهو الرجل الذى يقود مصر والمنطقة الى مزيد من تحرير الارض ، ومزيد من السلام ••• ومزيد من الانتصارات ••• تدعيما للحرية والديمقراطية والسلام •••

وربما هذا ما دعا مجلة « تايم » الأمريكية ، إلى أن تقول عنه :

« ان شخصية السادات ، هي لسان حال العرب • انه يمثل، بجدارة مائة مليون عربى ، ينزعون الى حل قضيتهم وانهاء حالة التوتر والحرب فى المنطقة • ومنذ عام ١٩٤٨ ، منذ الصدام والحرب بين العرب واسرائيل ، لم تأت الى المنطقة شخصية جادة ،وحكيمة تنزع الى حل قضية الشرق الأوسط، وتقنع الرأى العام العالمى ، كشخصية السادات »

فارس الأمل ، فارس المحبة ، فارس السلام

القادم من أعماق بلادنا ••• من ريفنا المعطاء ، يحمل الخصب والخير والنماء

القادم من ميت أبو الكوم ••• يبذر قمح مايو ، لتطرح الأرض سنابل وسنابل

فى جبينه الشمس تشرق

وفي عينيه ارادة واصرار وحكمه شعب عظيم
وفي قلبه الأخضر أحلام ومطامح لاتقف عند حد
وعلى ذراعه حمامة ...
وفي طريقه أغصان الزيتون تفرش الآمال بالحب والحياة والاخضرار العظيم ...
فارس الأمل ، فارس المحبة
فارس ١٥ مايو ٧١
صانع القرار العظيم في حرب رمضان
بطل ٦ أكتوبر ٧٣
صاحب مبادرة نوفمبر ٧٧
الحائز على جائزة نوبل للسلام في ديسمبر ٧٨
صانع معاهدة السلام في مارس ٧٩
فارس الأمـل .. لمصر المحبة ، لمصر العطـاء ، لمصر التقـــدم والرخاء ...
لمصر السادات ...
لمصر السلام ...

الفصل الثالث :

رحلة فارس السلام من القدس ، إلى كامپ داڤيد .. إلى معاهدة السّلام

« لم تكن مبادرة السلام ، هى البريق المتوهج الخادع الذى ما لبث أن انطفأ واختفى فى أستار الظلام ، بل كانت مبادرة السلام كما اعترف بها قادة العالم وشعوبه ، حدثا تاريخيا فريدا تحدى بالاقتحام المفاجىء المؤمن سدا رهيبا مفزعا من الأحقاد والمرارات السوداء التى تراكمت وتضاعفت على مدى ثلاثين عاما .. وكان طبيعيا أن يهتز هذا السد الذى بنته الأشلاء والدماء ، لكى يعلو مكانه فى الآفاق ، بشير جديد ينادى ويردد العالم كله نداءه من خلفه فى بهجة وأمل » ..

محمد أنور السادات

● يقــول الفيلسوف والكاتب الانجليزى « برتراند رســل » ، فى معرض حديثه عن الســـلام ، وفى دراسته (الطريق الى السلم) التي كتبها في أواخر الستينات :

« ان الحرب جرأة ومغامرة غير مأمونة الجانب . اذا كان من الممكن التوصل الى ما يريده المرء بالتفاوض ، فان خـير من الحرب الف مرة . وعند ذاك تصبح المفاوضة اكثر جراة، وشجاعة ، وحكمة فهناك امر يجب ان نأخذه مأخذ اليقين ، هو أنه اذا قام نزاع فى العــالم ، أو حرب ، فلن يكون أمام أي جانب من الجانبين المتنازعين ، فرصة للنصر ، بالمعنى الذى كان يفهم من هــذه الــكلمة حتى الآن . فالحــرب الحـديثة ، اذا أطلق لها العنـان ، فأغلب الظن أنها لن تدع أحدا على قيد الحياة ! ليس أمام النوع البشرى ، الآن ، الا ان يختار من اثنين : السلم عن طريق الاتفاق ، أو السلم عن طريق الموت الشامل . فالمسلم والمسيحى واليهودى ، سواء فى ايثارهم للحياة على الموت .. لهذا ، فان الخطر الذى يهدد بفناء الجنس البشرى وموت كل كائن يحيا على الأرض ، يجب أن تتصدى له البشرية بشجاعة .. وكثـيرا ، وكثيرا ما تساق فى هذا الصدد حجة لا نصيب لهــا من الصحة ، فكثيرا ، ما يسألنى الناس : ألا ترحب بأن تموت دفاعا عن أرائك ؟ فأجيبهم : أننى أموت مخلصا .. فيقولون: أليس واجبنا ، جميعا ، أن نموت دفاعا عن آرائنا ؟ هــذا سخف ! انك أن تموت من أجل آرائك ، فانما تموت آملا فى أن ينتفع بذلك الآخرون . اما ان كان لن يبقى أحد لينتفع بتضحيتك ، فان تضحيتك لا يكون لهــا أى معنى ، ولعــل أصـــحاب النزعة الفدائية ، هـــؤلاء ، ينسون أن القنبلة الهيـدروجينية . لن تقتصر على قتلهم ، بل ، ســتقتل ، كذلك من لا علاقة لهم بآرائنا ، بما فى ذلك ، الأطفـــال ، والحيوان .. ان الأمر أكثر شجاعة ، وقوة ، من كل هذا .. فان خطوة واحدة من أجل السلام ، وبحكمة ، طالما لا تفقدك (أرضك) ، فانها تكون أقوى ألف مرة من صــوت المدافع والحرب ، لأنك تحل السلام محل الدمار » .

ان هــذه الكلمــات العظيمة الصــادقة التى قالها رســـل ، أصدق

ما تنطبق ، تنطبق على مبادرة بطلنا الشجاعة الجريئة التى قام بهـــا في نوفمبر ١٩٧٧ : مبادرة السلام التى قام بها السادات ، الى القدس ، والتى كانت بداية الرحلة الحقيقية الى السلام ، على كافة المستويات ..
فلقد كان رسل ، هو الفارس المعلم فى جمع جموع العلماء للتبصـــير بالدمار المرتقب اذا ركبت الحـــكومات رأســـها ، وغامرت بالحـــرب التى لا تؤدى الا للدمار والتهلكة ، بل لقد شارك اينشتين وغيره من العـــلماء فى اصدار البيانات العلمية ، وحث العلماء والســـاسه والمفكرين على تجنب الحرب من أجل ضمان مستقبل أفضل للبشرية (١) ..

ومن هذا المنظور العلمى والفكرى ، بدت مبادرة الســـادات نحو السلام ، بسفره للقدس ، ذات دلالات وأبعاد حضارية وفكرية وانسانية . فهى مفترق الطرق نحو تغيير السياسة فى الشرق الأوسط وعلى الأرض العربية ، وهى خطوة الألف ميل التى تبدأ بخطوة جريئة فى طريق الحكمة والســـلام .. وقد كانت هذه الزيارة ، منعطفا حقيقيا ، لا فى سياسة المنطقة ، بل ، وأيضـــا ، فى السياسة المعاصرة بشـــكل عام ، فما يحدث على الأرض العربية وفى الشرق الأوســـط له ارتبـــاطاته وانعكاساته وتأثيراته فى العالم ككل . كانت المبادرة ، الجريئة ، الشجاعة ، مفترقا حاسما بين الطريق الى صدام خامس عربى ـ اسرائيلى ، يؤدى الى حرب عالمية ثالثة ، أو فناء نووى .. وبين طريق السلام المنشود الذى أذهل العالم فى ١٩ نوفمبر ٧٧ . فقد سلطت المبـــادرة ، الشـــجاعة ، الأضواء ، على جوانب المشكلة ، من خلال منطق شجاع ، نبيل ، يتفق وروح العصر المتحضر الذى ينشد السلام ، ويلغى التخلف والدمار .

---

(١) لقد ظل برتراندرسل ، حتى وفاته عام ١٩٧٠ ، وحتى بلغ عامه الثامن والتسعين، شديد الخوف على مستقبل البشرية من الحروب والدمار والفناء التى قد تؤدى أليها حماقة حاكم من الحكام أو جنون زعيم آلت اليه الزعامة فى غفلة الزمان .. فاصدر مع العالم اينشتين ، بيانا علميا ، يكشف عن الأخطار التى تهدد كيان البشرية من جراء الاستخدام المحتمل للقنابل الهيدروجنية والأسلحة النووية ، ويبصر حكام العالم وشعوبه بالامكانات التخريبية للأســـلحة الذرية والنووية ، تلك الامكانات التى كان يجهلها ترومان وتشرشل ، حين قررا القاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكى فى اليابان « فقد كانا يظنان أن القنبلة الذرية ، مجرد نوع شديد التأثير من القنابل الشديدة الانفجار ، ولم يكونا يعلمان مدى تأثيرها الحاضر فى أصابة من نجو من القتل بسرطان الدم الاحمر وغيره من أبشع الأمراض ، وتأثيرها بعد ذلك فى ترســيب الغبار الذرى ببطء وعلى مدى سنوات ، فيصيب النـاس بشتى العلل ، ويشوه خصائصهم الوراثية ، بحيث يأتى نسلهم شائها فاقدا لمعظم الخصائص البشرية .

فقد ناشد السادات بزيارته هذه القوى الخيرة فى العالم اجمع ، ناشد ضمير العصر ، فى كل مكان من المعمورة ·· فهو لم يخاطب اسرائيل فحسب ، بل خاطب العالم أجمع ، هز خيمة الظلام والدمار والعتمات التى سادت لأكثر من ثلاثين عاما وأشعلت الحروب والدمار ·· ووقف الزمن للحظة ليستمع الى صوت الخير ، صوت السلام الذى ينشد الخير والحكمة · لقد قال السادات فى القدس ، خلال هذه الزيارة ، هذه الكلمات الصادقة العظيمة التى سيظل التاريخ يرددها :

« اخترت أن أحضر لكم ، بالقلب المفتوح والفكر المفتوح . اخترت أن أعطى هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام · واخترت أن أقدم لكم فى بيتكم الحقائق المجردة عن الأغراض والأهواء .. معركة السلام العادل والدائم .. انها ليست ، معركة ، فقط ، ولا هى معركة القيادات ، فقط ، فى اسرائيل ، ولكنها ، معركة كل مواطن على أرضنا، جميعا ، من حقه أن يعيش فى سلام ».

بهذا المنطق الجدلى ، الحضارى ، المتقدم .. فتح السادات ، الطريق ، على مصراعيه ، الى جهود السلام .. وكان الطريق ، مسدودا، مغلقا ، من قبل . وكان هو المبادر ، والسباق ، الى تمهيده ، معلنا ، بذلك عن رغبته الأصيلة فى السلام ، وعن صدقه فى حل أزمة الشرق الأوسط ، دونما مراوغة ودونما اللجوء الى أى حل بعيد عن جوهرها ، ولذلك أكد فى زيارته للقدس ، على مطلبه الصادق الذى كان وراء المبادرة :

« اننى أسالكم اليوم ، بزيارتى لكم ، لماذا لا نمد أيدينا بصدق واخلاص ، لكى نزيل ، معا ، كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد وأخطاء حقائق النوايا ؟ لماذا لا نتصدى ، معا ، بشجاعة الرجال ، وبجسارة الأبطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى ، ونقيم صرحا شامخا للسلام ، يحمى ، ولا يهدد ، يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الانسانية نحو البناء والتطور » .

وشرح مبادرته ، على النحو التالى ، وايمانا منه فى اللجوء الى طريق حضارى عصرى ، عملى ، ينهى المشكلة من جذورها ومع أصحاب النزاع الأصليين :

« بعد أن ارسلت ردى ، على الرئيس كارتر ، أخذت اتامل الموقف . فتبين لى ، أننا داخلون ، على حلقة مفزعة رهيبة ـ تماما كالتى عشناها طوال الثلاثين عاما الماضية ، أو أنه بسبب الجدار أو الحاجز النفسى الرهيب ، أخذت اسرائيل فى هذه المرحلة التمهيدية لعملية السلام ، تعترض على شكليات واجراءات .. وأخذنا نحن العرب .. أيضا .. نعترض بصورة تلقائية على هذه الشكليات .. وبذلك دخلنا الحلقة المفزعة وابتعدنا عن جوهر القضية .. والحاجز النفسى الذى أعنيه هنا ، هو ذلك الجدار الضخم من الشك والخوف والكراهية .. بل وسوء الفهم» اذ أن كلا من الطرفين غير مستعد لتصديق الآخر .. واذا كان عمق ذلك الحاجز ثلاثين عاما ، أى منذ قيام اسرائيل، فان له جذورا أعمق من هذا التاريخ . أى أنه اذا كان بيجين يدعى أن للمسألة بعدا دينيا ، أيضا ، فان لها بعدا دينيا ، أيضا ، بالنسبة لنا .. وهكذا ، بدات أتأمل الموقف من زوايا جديدة ..

ماذا يمكننى ، اذن ، أن أغيره ؟

لقد درجنا على اعتبار اسرائيل موضوعا مشحونا بحساسية وخطورة الى الدرجة التى تحرم الاقتراب منه .. بل لقد استمر هذا الموقف سنين طويلة ، حتى بلغت التراكمات حدا يصعب معه التغيير ـ ان لم يكن يستعصى فعلا ، تماما مثل ما حدث بالنسبة للنظرة الاسرائيلية للعرب . وهنا ، وجدت السبيل الوحيد الى التغيير ، لابد أن يتناول صلب هذه النظرة وجوهرها . فاذا كان لنا أن نناقش جوهر القضية وأساسها بغية تحقيق السلام الدائم ، فلابد لنا من أسلوب جديد تماما .. أسلوب يتخطى مرحلة الشكليات والاجراءات ، ويكسر حاجز عدم الثقة المتبادلة حتى لا نعود للدائرة المغلقة والطريق المسدود » ..

وقد وصفت مجلة (تايم) الأمريكية ، هذه المبادرة ، بقولها :

« أنها خطوة عظيمة نحو السلام ، ومهمة مقدسة عظيمة ، قام بها الرئيس المصرى السادات . وسيثبت

التاريخ ، أنها ، كذلك ، بالفعل . فبرحلته ، غير الرئيس المصري ، مجرى الأحداث في الشرق الأوسط ، لأجيال قادمة .. ذلك ، أن رحلته الفذة ، قلبت الحقائق السياسية رأسا على عقب ، في منطقة سادها جو أسود من المرارة والكراهية الشديدة والحروب المزمنة ، اكثر مما فعل اى حدث آخر منذ قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . فبضربة واحدة ، الغى القواعد القديمة والأسس التقليدية للثأر الدموى العربى ، وذاب كما يذوب سراب الصحراء ، وكثير من الحواجز اللانهائية التى طالما عاقت التفاوض بين الجانبين . ومن ثم صار حلم السلام الحقيقى ، أقرب الى منالا مما كان فى أى وقت خلال الثلاثين عاما الماضية .. لذلك ، ومن أجل حرص السادات على التشبث بالفرصة الجديدة ، وما أظهره من شجاعة شخصية وسياسية واصراره الذى لا يتزعزع على اعادة السلام الى الشرق الأوسط ، فانه هو رجل السلام ، رجل العام فى نظر مجلتنا .. مجلة تايم » .

وقد نشرت مجلة (تايم) الأمريكية ، عدة مقالات ، حاولت فيها أن تتحدث عن السادات ، من خلال المبادرة ، ومن خلال ترشيحها له للسلام ، وكرجل العام الجديد ، ذلك فى مطلع ١٩٧٨ ، وكان بين هذه المقالات : « رجل العام الجديد » ، « مصر هبة النيل » ، « تأملات من الزنزانة رقم ٥٤ ــ صفحات من مذكرات أنور السادات فى السجن » ، « تشريح خطوة جسور .. السادات يشرح لمندوب مجلة التايم ، كيف، ولماذا اتخذ قراره بزيارة القدس » ، « أربع أزمات ·· أزمة ٥٢ ·· ثورة التصحيح فى مايو ٧١ ·· حرب أكتوبر ٧٣ ·· زيارة القدس ·· من وجهة نظر زوجه » .. كما كتب فى التايم د: هنرى كيسنجر ، مقالا ، هاما ، توقع فيه ، بنجاح السلام ، من خلال نجاح السادات وبيجين فى التوصل الى اتفاق سلام ، واثنى فيه على خطوة السادات الشجاعة ، التى كانت المبادرة الأولى فى طريق السلام ..

وقد وصف الكاتب السياسى المعروف « أوليفيه شيفربون » ، المبادرة ، فى افتتاحية مجلته « لى بوانت » .. Le Point ، بقوله :

« ان عبارات السادات ، فى القدس ، خلال زيارته

التـــاريخية ، لم تمس شـغاف قلوب الشعبين المصـــرى والاسرائيلى فحسب ، وانما نفذت الى قلوب جميع الرجال والنساء المخلصين الشرفاء فى العالم أجمع وممن استطاعوا أن يستوعبوا بغريزتهم الفطرية الأثر الضخم والمرمى البعيد لهذه الزيارة » .

وأشادت مجلة (النيوزويك) بمبادرة السادات السلمية للقدس ، وقالت عنها :

« انها خطوة جريئة وشجاعة ، تجعل السلام قريبا. فقد كانت المفاجأة الكبرى للعالم . حقا ؛ وهذه الخطوة تجعل السلام حقيقة كبرى . وكان للسادات الفضل الأول فى كل هذا ، من خلال هذه المبادرة ، التى تؤكد صـــدقه واصراره الواضح ، الجلى ، من أجل حل مشكلة الشرق الأوسط ، من خلال الحل السلمى العادل » .

وكتب جان دورميسون ، فى (الفيجارو) ، معلقا على المبادرة ، فقـــال :

« وهكذا وقع ما لا يتصــوره عقل . بل ما يدخل فى باب المستحيل . رئيس دولة فى حالة حرب ، يتوجه الى خصـمه ليواجهه بطلب الصلح ، فاذا بشعب هـذا الخصـم يستقبله بترحيب عاطفى يجل عن الوصف » .

ويؤكد جان دورميسون .. حدسه ، بقوله ، وبتساؤله .. هكذا، كيف ؟ لم يكن أحد من الممكن أن يصدق أن هـــذا من الممكن أن يحدث وما كان أحد ليتخيل هذا .. لقد تحدث السادات ، ببساطة ، وشرف ، وصدق ، الى أبعد الحدود ، وكأنه يتحدث فى داره تماما ، ومن هنـــا يبدو صدقه وقوته ووضوحه ..

ويحضرنا هنا كليمنصو ، ذلك السياسى المحنك ، حينما قال : « ان الدبلوماسية أخطـر من أن تترك للدبلوماسيين المحترفين ! » ، بمعنى أن الدبلوماسية ليســت وحـــدها كافيـــة ، وكذلك الاحتراف السياسى ، وحده ، لا يكفى .. ينبغى أن يكون هناك شىء أعظم ، شىء أنبل ، كذلك الذى حرك السادات ، واتخذ مبادرته الشريفة الشجاعة فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، التى انحنى لها العـالم اجلالا ، وتقـديرا ..

الذين أحبوه وآمنوا به ، انحنوا له ايمانا ، وحبا .. والذين عارضوه، لم يستطيعوا إن يخفوا خوفهم من شجاعة الرجل المقدام .. وحتى اشد المتطرفين ، كانت فرائصهم ترتعد من مفاجأه الحدث الجليل . لقد اتسم الحدث بالعبقرية ، والشجاعة ، والنبل ، الذى لا يستطيع احد ان ينكره ...

ومن تعليقات الكتاب والمفكرين التى استوقفتنى عن المبادرة ، هذه الكلمات التى كتبها « كلود بونجان » ومارى كلود دى كامب » ، ويصفان المبادرة بقولهما :

« لقد أحدث السادات فى الشعب الاسرائيلى ، ما يشبه التنويم المغناطيسى ، فطوال ٤٤ ساعة من الزيارة، لبث الاسرائيليون ، مسمرين ، بلا حراك أمام شاشات التليفزيون ، مبهورين ، برؤية هذا الرجل ذى البشرة السمراء ، عدوهم اللدود ، يزور قبر الجندى المجهول ، ويضحك مع جولدا مائير ، ويتبادل العبارات المهذبة مع موشى ديان ، فكان لهذه الصورة الخارقة ، أثرها العميق فى الشعب الاسرائيلى .. وقد امتد الأثر الى كل العالم .. الذى لم يعد يجد الفرصة حتى للتساؤل ، فهو أمام فارس مغوار ، يتحدث بلغة جديدة يحطم فيها منطق السياسة الكلاسيكى ، وينبذ الكراهية ويتجه بقلب مفتوح وفكر مفتوح للسلام ، ويقدم يده الى أبعد الحدود من اجل احلال هذا السلام ، العادل والشامل » ..

وهذا ما دعا « منديس فرانس » رئيس وزراء فرنسا السابق الى ان يقول :

« لقد كانت رحلة السادات الى القدس ، حقا ، رحلة لماحة وذكية . فلولا مبادرة السادات الشجاعة ، لكان النفوذ السوفيتى قد عاد الى المنطقة ، وترك القوى المعارضة فى المنطقة لتعود وتعرقل جهود السلام . لكن السادات أحبط كل شىء . وهذا ما أزعج الحاقدين » .

وقد وصفت ال « فرانس سوار » France Soir ، رحلة السادات الى القدس ومبادرته ، بانها رحلة مقدسة حقا ، وقالت الصحيفة الفرنسية :

« السادات .. حقا . تفوق على بالبران ومنرنخ ، بذكائه ، وبعد نظره .. وتجلي هذا ، في وضوح ، في مبادرته الجريئة بالذهاب الى القدس . فقد أسقطت هذه الزيارة جدار الخوف واليأس ، ومحت الشكوك والعراقيل من طريق السلام فى المنطقة ، وفتحت الباب للتفاوض والتفاهم ، من أجل احلال السلام فى المنطقة بعد حرب طويلة بين مصر واسرائيل دامت ثلاثين عاما » .

اذا كان السادات ، قد صنع معجزة أكتوبر ٧٣ ، بعبوره بالأمة العربية الى ما أعاد اليها الروح ، فانه فى ١٩ نوفمبر ٧٧ قد صنع معجزة أكبر .. ففى أكتوبر حطم خط بارليف وأسطورة الجيش الذى لا يقهر ونظرية الأمن الاسرائيلى .. لكنه فى نوفمبر ٧٧ ، حطم جدار الخوف الذى كان يقف حائلا دون التفاهم والتفاوض من اجل احلال سلم دائم فى المنطقة ، يحقن سفك الدماء ، ويعطى الأمان للتقدم ، ويعيد للعرب أراضيهم ، ويستكمل منجزات ثورة التحرير لتفتح الطريق لبناء مصر السلام التى تضمن الحياة الحره الكريمة للمواطن ، سياسيا وماديا واجتماعيا ..

●

للكاتب الفرنسى الشهير فولتير ، رواية ساخرة ، باسم (ميكروميجا) (١) ، وفيها يسخر من غرور الانسان وزهوه ، وغرامه المستمر بالدمار والقتل وعشقه لحب الدماء . وميكروميجا ، بطل فولتير ، هو أحد سكان كوكب الشعرى اليمانية ، ويبلغ طوله نصف مليون قدم ، كان سائرا فى طريقه ، فقابل احد سكان كوكب زحل القصار ، الأقزام وهو قزم لايتجاوز طوله ١٥ ألف قدم ، فيتفقان على القيام برحلة فى الفضاء وكان السديمى الرحلى القدم ، حديث عهد بالزواج ، فاعترضت زوجه على القيام بتلك الرحلة ، لأنه لم يقض معها الا شهر عسل قصير لا يزيد عن مائتى عام ، لكنه طمأنها أنه لن يتغيب طويلا . ويقفز العملاق والقزم على ذيل نجم مذنب ، ويسبحان فوقه ، بعيدا بين النجوم والكواكب .. وأخيرا، يهبطان ، فلا يتزلان من كل تلك الأكوان الا بذرة من التراب تافهة تدعى (الأرض) ، ويسيران فى مياه البحر الأبيض المتوسط ، وهو فى نظرهما مجرد بركة من الوحل ، فيبصران بسفينة عائدة من رحلة فى القطب ،

---

(١) ميكروميجا .. تعنى العملاق القصير ، او الطويل القصير ، وهو الاسم الذى اطلقه فولتير على روايته الشهيرة التى كتبها عن فلسطين .

وتبدو السفينة للعملاق غاية فى الصغر ، فاحتاج لكى يراها جيدا الى استخدام المجهر المكبر ، ثم أخرجها من البحر ، ووضعها على ظفره ليبحث عن كثب ، ولا يكاد يتأمل السفينة حتى يأخذه العجب والدهشة، فقد رأى فوقها ذرات حية ، ثم تحولت دهشته الى متعة ، حين أخبرته هذه الذرات ، أنها مخلوقات بشرية خالدة ، وأنها مركز الكون ، وأن السفينة مملوءة بالفلاسفة على ما يظهر .. فيوجه العملاق اليهم أسئلة ، يستفسر بها عن حياتهم ، فيعلم ، أن هذه الكائنات الصغيرة تقضى معظم وقتها فى قتال لا ينتهى ، ويقول له أحد الفلاسفة : أنه فى تلك اللحظة التى أحدثك فيها ، يقوم من جنسنا مليون نسمة ، ممن يلبسون القبعات ، بذبح مليون من بنى جنسهم ممن يلبسون العمامة .. وقد نشب هذا القتال بسبب كومة صغيرة تسمى (فلسطين) .. ولا يدعى ، أحد من هذا المليون ، أو ذاك ، أنه صاحب الحق فى أقل ذرة من تراب فلسطين ، فالمسألة عندهم ليست الى من تئول فلسطين ! كلا . بل المسألة عندهم : هل تئول الى شخص معين عظيم الهيلمان يقال له السلطان ، أو الى شخص أعظم هيلمانا يقال له الملك !!

.. ..

وهذه المعركة ، الحمقاء ، للأسف ، ما زالت ممتدة ، وناشبة ، منذ سنوات طويلة ، حتى وقتنا هذا ، وقد امتد لهيبها الى كل أرض ! فذهل العملاق ، مثلما ذهل القدم . حروب طويلة تدوم ، تذهق فيها الأرواح من أجل ارضاء ثروة حاكم ، ملك أو سلطان ، أحدهما يلبس القبعة ، والآخر يلبس القبعة .. ؟!

لم لا يلتقيان . لم لا يعملان على ايقاف هذه المذبحة المضحكة — المبكية .. ؟

هذا السؤال الذى طرحه فولتير فى روايته (ميكروميجا) ، هو نفس السؤال الذى طرح نفسه ابان مباحثات السلام ، فى كامب دافيد .. والتى هى امتداد لمبادرة السلام التى قام بها السادات بمبادرته الجريئة الشجاعة فى نوفمبر ١٩٧٧ .. وان اختلف السؤال ، نوعا ، وكيفا .. وشكلا .. الى أن النتيجة واحدة .. محاولة الوصول الى سلام دائم ، عادل ، وشامل ، يوقف نزيف الدم فى المنطقة ليحل السلام ، ويعم الأمان ... بعد حروب طويلة ، أرهقت المنطقة ، نفسيا وماديا .. فكريا وحضاريا .. اقتصاديا واجتماعيا .. ..

كانت زيارة الرئيس السادات ، للقـدس ، حقـا ، تحركا تاريخيا عملاقا ، غير الموازين والانجاهات فى المنطقة ، وأدى الى تحولات استراتيجية عميقة فى المنطقة وفى العالم أجمع ٠٠ وعلى أكثر من مستوى فقد احدثت الزيارة ، والمبادرة ، تحولا جذريا فى الرأى العام الاسرائيلى ، وبالتالى فى السياسة الاسرائيلية ٠٠

كما كسبت المبادرة ، الرأى العام العالمى ، بشكل غير عادى ، فهى زيارة سلامية ، تنشد الخير والأمان ، وتدحض كل فكر لا يرمى الى حل المشكلة حلا جذريا فى اطار السلام العادل والشامل ٠٠ كما أعطت المبادرة فرصة أعظم وأكدت للرئيس الأمريكى جيمى كارتر ، حسن النوايا ، من أجل أن يواصل ضغطه على اسرائيل ، من اجل السلام . والوصـــول الى اتفاق شامل وعادل ، ولا يخفى على أحد ، ان جهود الرئيس الأمريكى كارتر من أجل تسوية سلمية طبقا لتوصيات « معهد بروكنجز » ، التى تدعو الى الانسحاب من الأراضى المحتلة فى الشرق الأوسط ، كانت قد وصلت الى طريق شبه مغلق ٠ فقد شنت عليه جماعات مختلفة من الصهاينة فى الكونجرس هجوما ضاريا بعد صدور ورقة العمل الأمريكية ـ السوفيتية، ومن جراء هذا الضغط ، اضطر الرئيس الامريكى الى التراجع ، بعض الشيء فى ورقة عمل أخرى أمريكية ـ اسرائيليـــة ، بل ان استمرار النقـد له والهجوم عليه ، جعلاه يجمد الجهود الأمريكية مؤقتا ، رغم حرصـه على عقـــد مؤتمر جنيف ٠٠ ولكن زيارة الرئيس السادات الى القـدس فى ١٩ نوفمبر ٧٧ ، غيرت الميزان وأعطت الادارة الأمريكية مزيدا من القدرة والحـركة والضغط والمناورة ، دون خوف من الجمـاعات الصهيونية فى الكونجرس الأمريكى ٠٠

وكانت اسرائيل ، نفسها بصدد هجوم اسرائيلى خاطف ، وقائى ، كارضاء للمؤسسة العسكرية ، أو كنوع من الرد على حرب رمضان ، أو كنوع لرأب الصدع فى السياسة الداخلية الاسرائيلية ٠٠ لكن مبـــادرة السادات ، غيرت الموقف تماما ، وأوقفت أية رغبة فى الهجوم أو الحرب ، وحولت الجهد أو النشاط كله فى اتجاه السلام والوصول الى اتفاق يضمن احلال السلام العادل الشامل فى المنطقة ٠٠ ويوقف نزيف الدم والتوتر ٠٠ قضت المبادرة ، على أية محاولة من جانب أى قوى عربية ، لحـل المشكلة عن طريق الحرب ٠ فقد أكدت المبادرة ، امكانية التعايش السلمى وهذه الفكرة ، أو هذه النظرة امتداد لفكرة التعايش السلمى التى نمت وتطورت فى العالم فى الخمسينات من الدول المتعارضة أيديولوجيا ٠ وقيـــام السادات بالمبادرة ، تأكيد عميق وأصيل ، ان مصر ، هى مركز

الدائرة بالنسبة للأمة العربية ، فهي بوتقة حسها ، وهي تجميع لاحاسيسها . وهي شرارة انطلاقها الى ما فيه خير المنطقة وأمنها من اجل حياة افضل وأرحب للعرب ··· ودائما ، كانت ، وستظل قلب المنطقة النابض بالحركة ···

فلطالما هز المنطقة الدمار والهلاك ، ولطالما أرهقتها الحروب والحروب ، ماديا وفكريا ومعنويا ··· ولنحاول ان نتخيل معا ، الصورة التى كان من الممكن ان تكون عليها مصر ، او العرب ، حضاريا وفكريا واقتصاديا ، اذا لم تكن كل هذه الحروب التى ارهقت المنطقة ثلاثين عاما ، منذ ١٩٤٨ حتى الان ··· ثم أن المبادرة ، مثلما أكدت منطق التعايش السلمى بين العرب واسرائيل أكدت حق الفلسطينيين فى أقامة وطنهم ، وأكدت ، أيضا ، منجزات مرحلة التحرير وتحرير الاراضى العربية من الاحتلال الصهيونى ··· بل أكدت ، السلام فى المنطقة ، بشكل ، خلاق ، ومبدع ، من خلال منطق جدلى صادق ، وعادل ، وشامل ··· ···

وقد كتبت صحيفة « الايكونومست » البريطانية ، عن تطور المسألة العربية ـ أو أزمة الشرق الأوسط ، وانطلاقا من هذا المنظور ، تقول :

« ان المراقب لشئون الشرق الأوسط ، والمتتبع للمسألة العربية فى تناقضاتها ، يحس أن مصر ، والعرب ، عموما ، يحاولون ، تجنب الحرب ، خاصة بعد أربعة حروب مريرة وقعت بين العرب واسرائيل : حرب ٤٨ ، وحرب ٥٦ ، وحرب ٦٧ ، وحرب ٧٣ ، وما كل هذه التحركات الا محاولة من أجل السير فى طريق التسوية · والتسوية ، هى الطريق الطبيعى لحل المشكلة ، لأن الحرب لاتعنى الا وضع تراكمات أخرى ، تحول دون الوصول الى حل جذرى · والسادات يلعب دورا ذكيا ، حقا ، بالنسبة لحل الأزمة ، جذريا ، وهو رجل يتسم بالحلم والصبر والحكمة ، وهو لايريد أن (يورط) العرب فى مأزق ، ولا يريد أن يدفع العالم الى حرب كونية ، بقدر ما يريد الوصول الى حل جذرى عادل وشامل يحقق متطلبات العرب ، ويحقق السلام فى المنطقة ·· »

فالحرب اذا ما اشتعلت ، ليس لها الا أحد مصيرين ··· أن تعرض أحد الطرفين الى الدمار ، ثم ينتهى بعد ذلك القتال بعقد صلح أو تسوية وتاريخ الحروب ، عامة ، يوضح ويؤكد للباحث ، أن الحل الشامل

لم يتحقق الا من خلال حالات قليلة أشهرها فرض روما ارادتها على « قرطاجنة » وتدميرها نهائيا ... وكذلك ... فرض الحلفاء ارادتهم على كل من ألمانيا واليابان فى الحرب العالمية الثانية ... وهذه الرؤية التاريخية ، تمنحنا خبرة بالصراعات والحروب ، وتحضرنا ونحن نناقش أزمة الشرق الاوسط ، وما كان لبطلنا من اقدام ومبادرة سباقة الى حلها فى اطار الحل السلمى العادل والشامل ، وقد جاءت هذه المبادرة الجريئة بعد حروب أربعة ضارية بين العرب واسرائيل . وبعد نزاع قاسى طويل دار بقوة وشراسة بين القوتين ... والصراع العربى ـ الاسرائيلى قد بدا فى الحقيقة منذ تاريخ مبكر ، وقد أوضح بطلنا فى أحاديثه الأخيرة ، أن مصر لم توقع على اتفاق سلام لا يتم الربط فيه بين معاهدة السلم ومصير الضفة الغربية والقدس وغزة ، وبين عملية الانسحاب من سيناء واعلان بدء الحكم الذاتى ، وأن القدس العربية ستظل عربية ، ولابد أن تعود للسيادة العربية الكاملة ، وأن المعاهدة ضمان أساسى ، وجذرى لفض النزاع العربى ـ الاسرائيلى ، وتحقيق السلام العادل الشامل فى المنطقة من أجل تقدم وازدهار الأمة العربية ...

ونقطة البداية ، المنطقية ، لتفهم الظروف والقوى التى كانت وراء النزاع العربى ـ الاسرائيلى ، تعود أساسا الى القوة التى تعتبر مسئولة أكثر من غيرها عن بدء هذا العداء الذى استمر طويلا ، والذى كان من الممكن ان يغرق المنطقة فى بحر من الدماء .

وليس من العسير ، أن نحدد هذه القوة بالنسبة للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، فتلك القوة ، هى الصهيونية العالمية ، ولا يعنى هذا بالطبع ، أن نقول ان الصهيونية هى القوة الوحيدة التى تتحمل المسئولية ، كما لا يعنى هذا ، أنها كانت تعمل بمفردها . لقد كانت هناك قوى سابقة ، هى التى جاءت بالصهيونية الى الوجود ، وكانت لتلك القوى أهميتها ، ولم يكن هناك بد من أن تثير الاتجاهات الصهيونية قوى مضادة ، لها فعاليتها ، ثم كان النزاع حصيلة كل ذلك ! واذا كانت الصهيونيه ، تمتد الى عدة قرون مضت ، فان الحركة الحديثة ، اكتسبت الحياة كما اكتسبت شكلا واضحا فى المؤتمر الصهيونى الاول (١) ، ففى ذلك المؤتمر ، تكونت المنظمة الصهيونية . ولقد جرى العرف الى أن يشار

---

(١) المؤتمر الصهيونى الأول ، عقد فى بال بسويسرا فى أواخر أغسطس ١٨٩٧ .

الى نيدور هرنزل(١) على انه مؤسس هذه الحركه · وكان مشروع هرتزل يرمي الى انشاء وطن قومي خاص باليهود من أجل ضمان حقوقهم · ولهذا كان طبيعيا ، ان يسعى في عام ١٩٠١ . الى أن يقنع السلطان عبدالحميد ، سلطان الامبراطورية العثمانية ، ليجعل من فلسطين وطنا لليهود ، ولكن السلطان عبد الحميد رفض · فلما باءت محاولة هرتزل بالفشل ، اتجه الى الانجليز ، وحصل على موافقه بريطانيا عام ١٩٠٣ (٢) ···

ومع دورة القرن الحالى ، كان عرب الشرق الاوسط ، في حالة مفزعة من القلق ، الذى يصحب الرغبة في التغيير والتقدم ، وهى الحركة التى يشار عليها في العادة في مشكلة الشرق الاوسط باسم (يقظة العرب) ، وقد كانت اول ثورة كبرى لها على المسرح السياسى ، في حوالى ١٩٠٨ ، في مرحلة واحدة مع حركة تركيا الفتاة التى ظهرت في نفس الوقت ، وسرعان ما سارت هذه الفورة ـ أو هذه الحركة بين العرب في تيار تلك الفلسفة الغالبة التي ظهرت خلال الحرب العالمية الأولى ، والتى طالبت فيها الدول المقهورة بحق تقرير المصير ، وهو شعور أفصح في التعبير عنه الرئيس ويلسون · كان شعور العرب ، اذا ذاك ، أن من حقهم ، وقد وفوا بالتزاماتهم في اتفاقية « مكماهون ـ حسين » ، أن يحصلوا على الاستقلال الفورى الكامل ، وبالرغم من أن الشريف حسين لم يكن مفوضا من قبل العرب جميعا للتكلم باسمهم ، الا أن في غالبيتهم اتحدوا وراءه لأنهم ـ هم أيضا ـ كانوا يبغون الاستقلال ، ولا يستثنى في ذلك غير جماعة صغيرة نسبيا من المارونيين المسيحيين الذين كانوا يقطنون بالقرب من بيروت والذين كانوا يرون الارتباط بفرنسا ، ويميلون الى وضع منطقتهم تحت الحماية الفرنسية ··· !

غير أن آمال العرب ، كانت سابقة لأوانها ، ففى نفس الوقت الذى كانت تدور فيه مراسلات حسين ومكماهون ، وحيث لا يدرى العرب ، كانت تجرى مفاوضات أخرى بين بريطانيا وفرنسا والروسيا ، من أجل اتفاقية أخرى ضد مصالح العرب ، ومن أجل حماية اليهود وضمان وطن

---

(١) تيدور هرتزل ، منشيء الحركة الصهيونية ، من مواليد المجر (ولد فى بودابست عام ١٨٦٠) ، واتجه الى فينا حيث مارس نشاطه السياسى والصحفى · وفى ١٨٩٦ ، وضع هرتزل آراءه فى كتاب بعنوان : « الدولة اليهودية » ، وسرعان ما انتشر واصبح على مر الأيام ، بمثابة توراة الحركة الصهيونية ··

(٢) حصل هرتزل على موافقة بريطانيا ، بانشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين فى المؤتمر السادس للمنظمة الصهيونية عام ١٩٠٣ ·

لهم فى فلسطين ، وأجريت هذه الاتفاقية سرا فى ربيع عام ١٩١٦(١) ٠٠ والذي يهمنا ، هنا ، أن نوضحه ، هو ذلك التناقض بين هذه الاتفاقية وشروط المراسلات بين مكماهون وحسين ، بالنسبة لمناطق الشرق الاوسط فبينما نجد العرب يفسرون اتفاقهم مع مكماهون على ان فلسطين وداخلية سوريا ، واقعتان ، ضمن الاقاليم التى سوف يشملها الاستقلال ، نجد أن اتفاقية سايكس بيكو ، تعتمد على مطالبة فرنسا بمعظم أراضى سوريا بما فيها شمال فلسطين ، كما ينص على وضع جنوب فلسطين تحت ادارة دولية ٠٠٠ هذه الوعود المتناقضة ، مع الابهام فى اللغة التى صيغت بها كانا حريين بأن يصبحا فى قابل السنين مصدرا للجدل والنزاع ٠٠٠ وفى تلك الأثناء ، شهدت الحرب خطوات سريعة الى الامام من جانب الحركة الصهيونية ، حققت لها أكبر قدر من التقدم أثناء فترات النزاع العالمى ، وفيما بعد عند جنى الثمار ٠٠٠ وكان التقدم الكبير الذى حققته أثناء الحرب العالمية الأولى فى انجلترا ، تحت قيادة الدكتور حاييم وايزمان(٢) ، قد ساعدها على التقدم الى أبعد شأو ٠٠٠

ولم ينته عام ١٩١٧ ، حتى كان قد بدأ صراع سياسى منذر بين عشيرتين داخل حدود دولة صغيرة ، فمن ناحية نجد الفلسطينيين الذين عاشوا فى ذلك البلد ما يزيد عن ألفى عام ، والذين يحظون بالتأييد الروحى والعربى فى المنطقة ، والذين تعهدت بريطانيا لهم بأن تعترف باستقلالهم وبحقهم فى تقرير مصيرهم ، ومن ناحية أخرى نجد اليهود الذين يقيمون دعواهم على الايديولوجية الصهيونية والنظرة الدينية والتاريخية التى تنادى باحقيتهم فى اقامة دولتهم ٠ وفى نفس الوقت، نجد أن بريطانيا ، نفسها ، قد التزمت بالتعاقد على أن تعمل لتحقيق

---

(١) لعب الدور الأساسى فى هذه الاتفاقية السرية سير مارك سايكس عن بريطانيا ومسيو جورج بيكوعن فرنسا ، وقد نشرت هذه الاتفاقية أول ما نشرت بتوجيه من تروتسكى سنة ١٩١٧ ، لفضح روسيا القيصرية ٠٠ وقد عرفت هذه الاتفاقية ، باتفاقية « سايكس ـ بيكو » ٠

(٢) ولد حاييم وايزمان فى الروسيا ، وذهب الى (بنسك) فى صغره ، حيث كان يعيش هناك اليهود فى مجتمع كبير ، ومنها اتجه الى المانيا ثم انجلترا ، واليه يرجع الفضل فى انشاء دولة إسرائيل ٠٠ فهو الذى خلف هرتزل بعد وفاته ، وزاول نشاطه فى الدوائر الصهيونية فى أوربا ٠ وهو الذى حصل على التأييد البريطانى الرسمى بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى نوفمبر ١٩١٧ ، من آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانية ، والذى عرف بـ (وعد بلفور) ، والذى من خلاله تم انشاء اسرائيل ٠

أهداف متضاربة متناقضة • وباقتراب الحرب من نهايتها ، نجد أن بريطانيا تقع في موقف حرج ، اذ يطلب منها أن توفي بوعودها ، بأن يستقل الحرب ، وأن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين ، وفوق ذلك كله ، بأن تدير فرنسا شمال فلسطين ومدن سوريا •• !

وقد دارت الحرب العالمية الأولى ، في عصر بلغ فيه الاستعمار فيه ذروته ، وكان ما يزال يحظى بالاحترام كنظام سياسي واقتصادى ، وعندما انتهت الحرب ، لم يكن ينازع بريطانيا كقوة عالمية منازع ، وهي صاحبة الامبراطورية التي لا تغرب عن أراضيها الشمس على حد تعبير شاعرها رديارد كبلنج •• ولذلك ، كان من الطبيعي ، ومن المألوف ، في لندن ، أن تمنح الشعوب المستعمرة أقل مما تطلب •• ففي الوقت الذي انهارت فيه تركيا ، كانت بريطانيا ، والى حد ما فرنسا ، صاحبتي الكلمة والسيطرة في الشرق الأوسط ، وربما كانت هذه الحقيقة أهم من كل المواثيق والاتفاقيات !

وبعد أربعة أسابيع من اعلان « وعد بلفور » ، أي في ديسمبر سنة ١٩١٧ ، تقدم الجنرال اللنبي بقواته من غزه ، ودخل القدس ، ماشيا على قدميه ، اجلالا للمدينة المقدسة ، كما أكد وقال •• وسرعان ما بدأت ادارة عسكرية بريطانية في فلسطين •• وسرعان ، ما اتضح أن المقاومة العربية الملحة لفكرة اقامة وطن قومي يهودى أكبر مما كان متوقعا ومرتقبا • وكانت الشكوك ، قد بدأت تساور العرب فيما يتعلق بالأهداف السياسية للصهيونية ، وزاد من حدة هذه الشكوك ، وصول لجنة صهيونية الى فلسطين في يناير ١٩١٨ ، وكانت هذه اللجنة تضم الدكتور حاييم وايزمان بين أعضائها ، وتحمل تفويضا من الحكومة البريطانية لتمهيد الطريق من أجل اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين •• والذى أثار حنق الفلسطينيين • والعرب بشكل عام •• في ذلك الوقت ، هو مطالبة هذه اللجنة بأن يسهم اليهود في الإدارة العسكرية للبلاد ، وكذلك ، حق تدريب قوة عسكرية يهودية للدفاع ! وبدأ القتال ، والنزاع ، يقع ، مع بدايات ١٩٢٠ ، وبالذات في مارس من ذلك العام ، عندما عارض العرب اضافة أفواج جديدة من اليهود الى المنطقة ، وبعد ذلك ثارت اضطرابات في القدس قتل فيها اليهود والعرب بالثات ! وقد أصبح موضوع الوطن القومي لليهود في فلسطين ، مسألة شائكة ، حتى أن ونستون تشرشل ، أصدر في يونيو ١٩٢٢ ، بصفته وزيرا للمستعمرات ، بيانا عن سياسة وزارته ، أعلن فيها مع التأكيد على « وعد بلفور » ،

« بأن بريطانيا ليست لديها ما يمنع فى أن تصبح فلسطين يهودية ، استنادا الى وعد بلفور » ! وأخذت تتصاعد موجات الصدام والعنف بين العرب واليهود فى أواخر العشرينات ، وأشهر هذه الصدامات ، حادث (حائط المبكى) الذى طعن فيه أحد الشبان الفلسطينيين يهوديا ، فانتشرت الاضطرابات والقلاقل بين أيام قليلة حتى شملت الخليل وغيرها من المدن الفلسطينية ٠٠ وأخذ موقف العرب الفلسطينيين ، شيئا فشيئا يتسم بالتشدد ويزداد ، عندما راح الكثيرون منهم ، ينضمون تحت لواء الحاج أمين الحسينى ، المفتى الأكبر للقدس ٠٠ وكانت تلك الفترة ، بطبيعة الحال ، فترة نمو الروح القومية ، وكان من أثر العداء بين العرب والصهاينة ، أن ازدادت القومية العربية قوة ، وازدادت بالتالى القومية الفلسطينية قوة ٠٠ كما قويت الصهيونية ، كقوة مناهضة للعرب وللفلسطينيين ، وكحليف للامبريالية العالمية ، حتى اذا ما كان عام ١٩٣٠ ، وقويت خطوط النزاع بين العرب والصهاينة ، ووجد البريطانيون أنفسهم فى موقف لا يحسدون عليه ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح التفاهم صعبا بين الأطراف المتنازعة ، وكانت كل حركة أو كل فورة تذكى هذا الصراع وتقويه فى طريق الاحتدام والتفاقم ٠ وفى أوائل الثلاثينات ، بلغ التوتر مدى بعيدا فى فلسطين ، فاضطهاد هتلر لليهود فى أوربا ، أدى الى زيادة جديدة فى سرعة الهجرة ابتداء من عام ١٩٣٣ فصاعدا ، وازداد سخط العرب من جراء ذلك ٠ وبمقدم عام ١٩٤٠ ، كان مركز الثقل للنشاط الصهيونى قد انتقل من بريطانيا الى أمريكا ، وكما قال بن جوريون فى ذلك الوقت ، رئيس المجلس التنفيذى للوكالة اليهودية « باستثناء المجتمع اليهودى فى فلسطين (البيشوف) ، ثم لم نكن نمتلك أداة أكثر فاعلية من المجتمع اليهودى فى أمريكا والحركة الصهيونية » (١) ٠٠ وشهد المسرح السياسى فى مواجهة الوكالة اليهودية ، فى تلك الفترة وما بعدها ، مجموعة أحزاب سياسية فلسطينية تكونت لمناهضة اليهودية ولتحقيق الاستقلال : الحزب العربى برئاسة مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ، حزب الدفاع وكان يمثل أسرتى النشاشيبى وطوقان ، وحزب الاصلاح ويمثل أسرة الخالدى ،

---

(١) وفى تلك الفترة ، وبالذات فى مايو ١٩٤٢ ، عقد مؤتمر بلتمور بنيورك ، تحت رعاية مجلس الطوارىء للمنظمة الصهيونية الأمريكية ، وكان اجتماعا ضخما حضره حوالى ستمائة صهيونى ، وكان على رأسهم د٠ وايزمان وبن جوريون ، وأصدر هذا المؤتمر عدة قرارات هامة ، كان بينها « فتح أبواب فلسطين ، وأن تمنح الوكالة اليهودية سلطة الاشراف على الهجرة الى فلسطين ، وان تقوم فلسطين بمثابة كومنولث يهودى يكون جزءا من بنية العالم الديمقراطى الجديد ٠

وحزب الاستقلال ! وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، أوفدت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة تحقيق الى فلسطين (١) ٠٠ وأوصت اللجنة بانهاء الانتداب فى فسطين ، وتقدمت باقتراحين ، احداهما يقضى بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية ، ودولة عربية ٠٠٠ واقتراح آخر يقضى بايجاد دولة فدرالية مستقلة ٠٠٠ وقد ساند الغرب ، وبالذات ، بريطانيا ، الاقتراح الأول ، وطالبوا بالتقسيم ٠ وعارض الفلسطينيون ، وكذلك الحركة الوطنية فى المنطقة العربية مشروع التقسيم ، وطالبوا بأن تصبح فلسطين دولة عربية مستقلة ، لكن تم التصويت فى اجتماع الجمعية العمومية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، واسـفر عن الموافقة على مشروع التقسيم ، وكان رد الفعل فى العالم العـربى ، مباشرا وعنيفا ، أما فى فلسطين فقد تدهـور الموقف تماما ٠٠ ! وهكذا وبعـد اثنين وخمسـين عاما من نشر تيودور هرتزل لكتابة (الدولة) ، وواحد وخمسين عاما من انشائه للمنظمة الصهيونية العالمية ، تحقق حلمه الخاص ، بانشـاء دولة يهودية ، وأنشئت الدولة اليهودية فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ٠

ونشب الصراع المسلح فى فلسطين ، بمجرد أن وصلت الأنباء عن قرار التقسيم ٠

وأعلن الجهاد ، وفى أوائل عام ١٩٤٨ دخلت فلسطين طلائع القوى العربية غـير النظاميـة ، وفى مارس ١٩٤٨ كان عدد المتطوعين من الدول العربية داخل فلسطين يقدر بخمسة آلاف مقاتل ٠ وفى بداية ابريل تم توحيد القوة الصهيونية المسلحة ، وذلك بوضع منظمة «ايرجون زفاى» ٠٠ وبدأ الصدام بين العرب والصهاينة ، وبسرعة بدأ الاحتلال بطبرية وحيفا واكثر من ربع القدس وصفد وبيسان ، ثم سقطت يافا ، وكانت المؤامرات التى حاكتها الرجعيـة العربية فى ذلك الوقت من العوامل البـارزة فى هزيمة فلسطين والعرب ٠ وقد قدر الجنرال جلوب عدد القوات العربية والاسرائيلية التى قاتلت فى ١٥ مايو ٤٨ على النحو التالى : مصر (١٠ر٠٠٠) ، الفليق العربى (٤ر٥٠٠) ، سـوريا (٣ر٠٠٠) ، لبنـان (الف) ، العراق (٣ الآف) ٠٠ فيصبح الاجمالى ٢١ر٥٠٠ ٠٠ أما القوات الاسرائيلية فكانت قوتها ٦٥ الف ، ومنظمة على أحدث نظام فى ذلك الوقت ٠٠٠

وفى ١١ يونيو ١٩٤٨ ، نجح مجلس الأمة فى عقد هدنة مدتها أربع

---

(١) ارسلت لجنة التحقيق الى فلسطين فى اغسطس ١٩٤٧ ، وكانت مكونة من ١١ عضوا ٠

اسابيع ، أعقبتها فترة قصيرة من القتال المرير ، ثم جددت الهدنة ... حتى ١٩٤٩ ، وكانت قد عقدت أربع اتفاقيات هدنة . وبمقتضى هذه الاتفاقيات، إحتفظت اسرائيل بالأراضي التى كانت قد إحتلتها ، وساعدها الغرب في ذلك ايما مساعدة .. وبذلك تيسر لها الحصول على منطقة تزيد بحوالى الثلث على المنطقة الممنوحة والتى تقضى بمشروع التقسيم . وحدث سباق التسلح الذى تصعد وتزايد بعد ذلك . وعلى نطاق واسع ، والذى ادى الى حوادث الحدود والى نشوب الحرب اكثر من مرة فى المنطقة ، ومما أدى الى مقاطعة العرب لاسرائيل ، والى اغلاق قناة السويس أمام السفن الاسرائيلية ، وشددت مصر قبضتها على تحركات حاملات البضائع المتجهة نحو اسرائيل والى ميناء ايلات عبر مضيق تيران ...

وما ان جاء عام ١٩٥٦ ، الا وقامت اسرائيل ، ارضاء لرغبتها الدائمة فى تدعيم مركزها كدولة . بالتحالف مع بريطانيا وفرنسا ، عندما قررت هاتان الدولتان ، أن تقوما بعمل ضد تأميم مصر لقناة السويس ، وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، قامت اسرائيل بغزو شبه جزيرة سيناء ، وبمساعدة بريطانيا وفرنسا ، كما قامت بتحطيم المطارات المصرية والأهداف الاستراتيجية الحربية لمصر ، كما قامت مصر بالرد بأن أغرقت مجموعة من السفن فى قناة السويس بقصد اغلاقها . وبالرغم من أن أزمة ١٩٥٦ ، فشلت فى أن تحقق أهداف الدول الثلاث التى تورطت فيها ، الا انها تمخضت عن نتائج هامة ، دعمت مكانة مصر والعرب ، وبينت نوايا الغرب ، وبالذات بريطانيا وفرنسا ، تجاه مصر والعرب . وقد فتحت حرب ١٩٥٦ ، وما أعقبها من توترات ، الباب لسباق التسليح بين العرب واسرائيل ، فمصر أخذت تسلح نفسها من موسكو ، بينما اسرائيل ، أخذت تسلح نفسها من الغرب تمهيدا لحرب أخرى . وكانت الفترة من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٧ ، من أعتى فترات التسلح بالنسبة للجانبين ، وقد انعكس على هذه المرحلة تلك الظلال التى كانت تمليها ظروف حدة الصراع بين الاتحاد السوفيتى والغرب ، والتبارى فى السلاح والمنافسة على أحدث أنواع الأسلحة ، وفى هذه المرحلة ، أيضا ، قويت حركة القومية العربية ، واشتدت ، الى أبعد الحدود ، وساعد على ذلك عوامل ارتباط وحدة الصف العربى وتآزرها ، كما ساعد على ذلك ارتباط حركة القومية العربية بالنضال الفلسطينى . وفى خلال الستينات ، وبالذات فى عام ١٩٦٦ ، ازداد نشاط جبهة التحرير الفلسطينية الحديثة التكوين والوحدة المرتبطة بها والمعروفة باسم « جيش التحرير الفلسطينى » . واحتدم الصراع بشكل متعاظم بين العرب واسرائيل ، وتهور بشكل حاد ، وأذكى هذا الصراع

عوامل الجذب والشد بين القوى الوطنية فى المنطقة والصهاينة والامبريالية العالمية ، حتى تصعد الوضع الى الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل فى يونيو ٦٧ ، والتى انتهت بهزيمة العرب ، نتيجة العديد من العوامل الاستراتيجية والعسكرية والسياسية والاعلامية . فلم تكن المعركة قاصرة فى يونيو ٦٧ على القتال فى الأرض والجو والبحر فى الشرق الأوسط ، بل شمل وطيسها أجهزة الاعلام العالمية ، وخاصة الاعلام الغربى الذى لعب دوره الواضح فى احباط القوى العربية ، وقد شارك الغرب بنصيبه الواضح فى المعركة ، استراتيجيا وعسكريا وفكريا ...

وكانت الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ، فترة من أصعب الفترات وأقساها على الشعب المصرى والعربى ، وعلى فلسطين ، أيضا . ولم يكن فشل مصر ، أو الأمة العربية ، الا محاولة لرؤية ما نحن فيه وما يدور حولنا ، وفى عالمنا من متغيرات ... فقد أخطأنا فى تقدير الحسابات ، وأوصلنا الفكر التجريبى والانهزامى الى ما حدث فى يونيو ٦٧ ، بل وكان درسا صعبا لندرك حقيقة الأمور . ورغم ان الرجعيات العربية فى تلك المرحلة ، كانت تهدف الى تصوير ما حدث هو نهاية المطاف ، وان مصر أو العرب لا يمكنهم أن يستعيدوا أنفسهم ! الا أن تيار الحركة الوطنية والقومية كان يحاول أن يستعيد نفسه من وسط الركام الذى خلفه وضع يونيو ٦٧ ، وكان بطلنا بوعيه الثاقب ، وبنضاله العظيم ، وبنظرته التاريخية العميقة ، ومنذ أن تولى قيادة البلاد ، يحاول أن يستيقظ الهمم ، ويعد كل شىء للمعركة ، فقد كان السادات يحس ، أنه لا يمكن الوصول الى حل عادل لمشكلة الشرق الأوسط ، الا بعد أن تستعيد مصر أو الأمة العربية روحها ، وهذا لا يمكن أن يحدث الا من خلال (العبور) ... العبور الى ما يعيد الثقة بأنفسنا ، وما يعطينا الكرامة والدفعة والقوة على التقدم بثبات ونجاح واصرار . ومن كلماته هذه نحس بطبيعة المرحلة التى سبقت حرب أكتوبر ٧٣ :

« اننا قادرون على خوض المعركة ، قابلون لجميع تضحياتها ، وتكاليفها ، واثقون أن التطور التاريخى يتحرك لصالح كل ما ندافع عنه ، ايمانا منا ... معتقدون أننا لسنا فى المعركة وحدنا . ذلك ، لأن ما نواجهه هنا على الأرض العربية هو جزء من مخطط عام تقوم به القوى المعادية للحرية والتقدم ، بينما هى تشعر بحصار التاريخ لمطامعها » ...

وكانت حرب ٧٣ ، معجزة ، حقا ...

ونكنها لم تكن حربا من أجل الحرب ، فالسادات لم يقصد أن تكون حربا تمهيدية لحرب خامسة أو سادسة ! لا ، بالعكس • كان الهدف من حرب أكتوبر ٧٣ ، تحقيق المرحلة الأولى من مراحل البرنامج الذى وضعه السادات فى السنوات التى سبقت حرب رمضان ، وهى ازالة آثار عدوان ٦٧ ، وتحرير الأرض العربية ، واستعادة حقوق شعب فلسطين ، ومحاولة الوصول الى سلام دائم عادل ، يضمن انجاز متطلبات مرحلة التحرير ، ويفتح الباب على مصراعيه لتحقيق متطلبات مصر والأمة العربية ، ولذلك أكد السادات فى مرحلة ٧٣ ، على هذه المعانى :

« بالنسبة لأى مواطن • فان أرضه هى عرضة للضياع ، واذا تساهل فيها سهل الهوان • لماذا ؟ لأن المعركة هى أولى الأولويات فى مهام المرحلة ، وفى سبيلها كل شىء • ومن أجلها العمل فى الداخل ، ومن أجلها العمل فى الخارج ، على أساسها صداقتنا مع الأصدقاء ، وعلى أساسها عدواننا مع الأعداء • مطالبها هى الأسبق ، وضرواتها قبل أى ضروات ، وليعرف الكل على أرضنا ، وعلى أرض أمتنا ، وفى العالم كله ، أننا فى هذا لا نساوم ، ولا نتاجر ، ولا نزايد ، نحن طلاب سلام قائم على العدل • نحن نعطى الحياة كلها لبناء السلام القائم على العدل • ونحن على استعداد لأن نأخذ الموت دفاعا عن السلام القائم على العدل » •••

قامت حرب أكتوبر ٧٣ ، لا لتغير الوضع العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط ، فحسب ، أو تغير المعايير الاستراتيجية والعسكرية بين العرب واسرائيل ، فحسب ••• بل لتغير أبعاد الموقف من كافة أبعاده وجوانبه•• قضت حرب أكتوبر على أسطورة التفوق العسكرى الاسرائيلى ، وقضت على نظرية الأمن الاسرائيلى ، عامة ، وأكدت قدرات الانسان المصرى والعربى فى مصر وسوريا ، على الاستماتة والدفاع الى آخر مدى عن الأرض ••• كما أيقظت الوهم الذى عاشت فيه المنطقة والذى صور أن اسرائيل قادرة على هزيمة العرب فى أى معركة عسكرية ، ووضح للعالم ، أجمع ، أن السنوات التى عاشتها الأمة منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ، لم تكن الا خدعة كبرى ••• وقد استرد العرب كبرياءهم وكرامتهم وروحهم التى فقدوها تحت ركام هزيمة يونيو ٦٧ ، وأصبح ، واضحا ، للجميع ، أن مصر هى القوى التى يجب أن يحسب حسابها ، فهى القوة القادرة على حماية العرب •••

وكانت الثمرة المباشرة لحرب أكتوبر ٧٣ ، هي عملية فض الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية ، وبدأت المساعي للوصول بحلول للأزمة التي استفحلت ، وباتت تهدد المنطقة ، بعد ذلك ، بحرب خامسة أخرى ، تكون سببا في دمار وتهلكة الشرق الأوسط ، بل قد تفجر حربا عالمية ثالثة بدخول الدول الكبرى الى المنطقة في حالة حرب مباشرة ... فشعوب المنطقة ، تستخدم أسلحة المعسكرين ، وتتبارى فيها قوى الأسلحة المتنوعة التي تمثل الشرق والغرب ...

ويربط بطلنا حرب أكتوبر ٧٣ بنضال الشعب المصري والعربي ، وبثورتي ٢٣ يوليو وثورة ١٥ مايو ٧١ بالمرحلة الراهنة ، على أساس أن السلام كان ثمار المرحلة ككل :

« لقد جاءت حرب أكتوبر الخالدة ، خلود ثورة يوليو وثورة مايو ، لترفع رأس الانسان العربي في كل موقع وكل مكان لتعلى كرامته ولتعزز مشيئته ...

أولئك الرجال ، الذين أبدوا أروع وأطهر صور البطولة والفداء ، وأعطوا لأمتنا العربية في العالم كله ، غربا وشرقا وشمالا وجنوبا .. أعطوا عزة الوجود واحترام الكيان ، بعد أن تصور الأصدقاء قبل الخصوم ، أن الأمة العربية قد أصبحت لا مكان لها الا في قبر التاريخ ...

ولولا حرب رمضان (أكتوبر) ، ما كانت مبادرة السلام ... اذ لم تكن رحلتي الى القدس ، أبدا ، من موقع ضعف أو اهتزاز ... بل كانت مكللة بكل شرف الابطال الذين أعطوا أرواحهم وجسارتهم ، مقاتلين من أجل أن يكون على الأرض السلام .. »

●

من يتابع معركة السلام ، أو حرب السلام في الشرق الأوسط ، ان جاز هذا التعبير ، منذ أن قام الرئيس السادات بمبادرته الشجاعة النبيلة الى القدس في نوفمبر ١٩٧٧ ، الى توقيع معاهدة السلام في واشنطن ، يحس بوضوح ، بثبات المبادىء والتمسك بأهداف معينة ، والتي على أساسها خاضت مصر هذه المعركة الضارية ، فمنذ المبادرة الأولى ، أو منذ الخطوات الأولى في طريق السلام ، أوضح الرئيس السادات في خطابه التاريخي أمام الكنيست ، أن مصر لم تذهب الى القدس من أجل سلام منفرد ، أو سلام جزئي ، وأنه بدون حل جوهر المشكلة ، وهي تحرير

الأرض ، وحسم مشكلة فلسطين ، لن يكون هناك حل ··· ففلسطين لب القضية وجوهرها ···

وكانت محادثات « كامب دافيد » تسير في هذا الاتجاه ، وفي اطار هذه المبادىء العظيمة التى حددها الرئيس السادات ··· وهذه المبادىء التي ذهب من أجلها للقدس ، وهي نفس المبـادىء التي خاض من أجلها المقاتل المصرى حرب أكتـوبر ٧٣ ··· وهي نفس المبـادىء التى نص عليها فى اتفاقية السـلام ··· وهي نفس المبـادىء التي تتحرك من خلالها مصر اليوم ···

ولم يكن غريبـا ، أن تصادف المباحثـات ، الكثير من العقبـات والعراقيل فى « كامب دافيد » فقد فجرت المباحثات تراكمات ورواسب ثلاثين عاماً ، هي افراز ونتاج حرب الثلاثين سنة التى خاضها العرب مع اسرائيل ··· منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٧٨ ، لكن اشتراك الولايات المتحدة فى المباحثات ، وتدخل الرئيس كارتر ، شخصيا ، كان لهما الدور الفعال فى نجاح المباحثات ····

وفى « كامب دافيد » ·· وضع الرئيس السادات ، مبادىء السلام واضحة جلية ، متمسكا بكل حقوق العرب من أجل التحرير الشامل لكل شبر من الأرض العربية ··· وبهذا كانت مباحثات كامب دافيد ، ونتائجها انتصارا لمصر والعرب وكسبا أصيلا للرأى العـام العالمى ، ومن المكاسب التى حققتها « كامب دافيـد » الزام اسرائيل بسحب ادارتهـا العسكرية والمدنيـة ، ويرتبط بذلك الغاء المعتقلات واطـلاق سراح الفلسطينيين ، والموافقة على الحكم الذاتي للسكان الذين يعيشون فى الضفة الغربية ، واقرار حق الفلسطينيين في أقامة وطنهم ، والزام اسرائيل بالانسحاب من الأراضى المحتلة على كل الجبهات ··

كما أعلن الرؤساء الثلاثة الذين وقعوا على اتفاقية كامب دافيد ، عن مصر واسرائيل وامريكا ، أنهم متفقون على أن السلام لكى يكتب له البقاء ، يجب أن يشمل هؤلاء الذين كانوا أكثر تأثرا بالصراع وبالنزاع العربى الاسرائيلى دون غيرهم ، وهـذا يعنى بالدرجة الأولى : سوريا والأردن ، ولبنـان ···

بل ان المؤتمرين في كامب دافيد ، بدأوا بدعوة كل الاطراف في النزاع ، للمشاركة فى المفاوضات ، ايمانا منهم بأن هذا يحل الأزمة من جذورها ، وبعمق ··· فليس هناك من سبيل للوصول الى حل الا بالتفاوض والمباحثات ···

وما كانت مباحثات « كامب دافيد » الا « ورقة عمل » ، كما أكد الرئيس السادات أكثر من مرة ·· ورقة عمل ، للوصول بأزمة الشرق الأوسط الى اتفاق يضمن الحل الشامل العادل ··· وقد كانت مباحثات كامب دافيد ، هى الطريق الرئيسى للاتفاق وتوقيع معاهدة السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، هذه المعاهدة التى ضمنت فى اطار الحل الشامل حل أزمة الشرق الأوسط ، والالتزام بالمبادىء العربية التزاما واضحا ، وعدم الفصل بين مصلحة ومتطلبات مصر عن مصالح ومتطلبات الأمة العربية··· فجوهر القضية ، كما أكد بطلنا مرارا ، مفتاح الحرب والسلام فيها ، هو المشكلة الفلسطينية ···

وقد تحدث الرئيس السادات ، طويلا ، عن الاستراتيجية التى حكمت مسار محادثات كامب دافيد ، فقال ، انها كانت تسير فى خطين متوازيين :

أولا : اتفاق اطار السلام الذى يضع الأسس لاتفاق سلام مع جميع الأطراف العربية ··· سوريا ، الأردن ، مصر ، لبنان ، الفلسطينيين ·

ثانيا : اتفاق سلام يصلح ، أساسا ، للمباحثات بين مصر واسرائيل ، من أجل معاهدة سلام ·

وقد أكد بطلنا ، أن أسس هذه المفاوضات ، هى نفس الأسس التى من الممكن أن تحكم المفاوضات بين اسرائيل وسوريا بالنسبة للانسحاب من الجولان ، فما يسرى على سيناء ، يسرى على الجولان أوتوماتيكيا ··· أما الأردن ، فقد دعيت للاشتراك وكما نرى ، أن الوثيقة الأولى ، التى أقرت فى كامب دافيد يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ووقعت مع الوثيقة الثانية ، كانت تتعلق باطار السلام فى الشرق الأوسط ، وأطلق عليها اسم (اطار السلام فى الشرق الأوسط) ، أما الوثيقة الثانية فأوردت الموضوعات الخاصة بمصر ·· وفى ظل الروح التى أملت الوثيقة المذكورة ، تقرر جلاء اسرائيل عن سيناء ، وبسط يد مصر على هذا الجزء من أرضنا ، ومما جاء فى هذه الوثيقة ، أو فى هذا الخصوص ما نصه :

« توافق اسرائيل ومصر ، من أجل تحقيق السلام بينهما على التفاوض بحسن نية ، بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة شهور من توقيع هذا الاطار » ·

وقد تم الاتفاق على أن تتم المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة ، فى موقع أو مواقع يتفق عليها الجانبان ‥ وتطبق كافة مبادىء قرار رقم ٢٤٢ فى هذا الحـــل للنزاع بين مصر واسرائيل . وقد وافق الطرفان على : الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ··· وانسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء ··· واستخدام المطارات التى يتركها الاسرائيليون بالقــرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ ، للأغراض المدنية ، بما فيهــا الاستخدام التجارى من قبل كافة الدول ...

والمتتبع لمحادثات كامب دافيد ، والقارىء لبنود الوثيقتين اللتين تم الاتفاق عليهما فى سبتمبر ١٩٧٨ ، يحس أن « كامب دافيد » لم يغفل شيئا ، وأنه عرض أزمة الشرق الأوسط وبسطها على بساط البحث ، ولمس كــل جوانبها ، ليصل الى حلها جذريا من خلال اطار السلام العادل والشامل ، كما ، أن أمريكا ، أصبحت طرفا أساسيا فى القضية ، وهذا ما كان يسعى الرئيس السادات لتحقيقه منذ البداية ، ويعارضه بيجن ··· وهذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها الولايات المتحـــدة فى نزاع بعيد عنها ، فلم يحــدث أن دخلت فى فض نزاع بعيد عنها منذ أكثر من سبعين عاما ، وبالتحـــديد منذ تدخلهـــا فى النزاع الذى كان قائمـــا بين اليـــابان والروسيا ···

وقد كان « كامب دافيد » ، حقيقه ، نقطة تحول تاريخية كبرى فى سياسة الشرق الأوسط ، مثلما هو ، أيضا ، نقطـــة تحول فى السياسة المعاصرة بشكل عام ‥ فلأول مرة اعترفت اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولأول مرة تعترف بحق الفلسطينيين فى اقامة وطن لهم ، وكانت اسرائيل تنفى من قبل وجود الشعب الفلسطينى ، بل الأكثر من هـــذا ، أن صرح مناحم بيجن « للواشنطن بوست » ، بقوله : « اننى على استعداد ، أن أجلس مع ممثلى الشعب الفلسطينى ، وأتفاوض معهم ، من أجل حل مشكلة الضفة الغربية وغزة ، وحتى لو كان بينهم ممثلون لمنظمة تحرير فلسطين ، بشرط أن يتم هــذا فى اطار السلام ومن أجل السلام » . ليس هذا ، فقط ، بل ان ما تم الاتفاق عليه فى كامب دافيــد ، يمنح الضفة الغربية وغزة الاستقلال الذاتى ، بمعنى قيام دولة فلسطينية فى نهاية فترة الانتقال ‥ ومدتها خمس سنوات ‥

●

كان بطلنا ، قويا ، شجاعا ٠٠٠ خلال مفاوضات ومباحثات كامب دافيد ٠ لم يتوان لحظه واحدة خلال الايام العصيبه التي عاشها هناك ، عن تأييد الحقوق والمبادىء العربيه التي تقود الى تحرير الأرض العربيه ، والتي هي ضرورات واضحة وملحه من متطلبات المرحلة الوطنية والقومية، والتي من خلالها تحل المسأله العربيه ـ او أزمه الشرق الاوسط التي أرهقت المنطقه فكريا واقتصـاديا واجتماعيا طوال حروب قاسية استمرت ثلاثين عاما ، وكان بطلنا لا يتحدث في كامب دافيد فحسب بلسان مصر ، ولا بلسان كل العرب ، بل ، وأيضا ، بلسان رجل العصر الذى يدمغ قوى القهر ، ويبذل كل جهوده وقدراته ، من أجـل احلال السلام الشريف العادل الشامل ، فكان بحق رجل العصر ٠٠٠ رجل السـلام الحقيقي ، الذى يمثل منطق التقدم والحداثة ٠٠٠ وأمام حديثه ، الأصيل العميق ، كانت تبين كل الدعاوى والافتراءات التي تحاول أن تعرقل السلام ٠ وقد كانت حقا ، معركة كامب دافيد ، لا تقل عن معركة أكتوبر ٧٣ ، ناضـل خلالها بطلنا بفكره ، وذكائه ، وأعصابه ، ومطامحه ليحقق ما كان يحتاج الى جيوش وعتاد ودماء عظيمة لتحقيقه ، وربما ما كانت هذه القوى كاملة بقادرة على تحقيقه مهما بذلت ، ومن هنـا تبرز مبادرة القائد وقدراته على حل متطلبات المرحلة وانجازها ، وسبقه لعصره بما يقدمه من منطق عصرى يحطم كافة الحواجز والعراقيل ، من أجل تحقيق حلم شـعبه وشـعوب المنطقة : حلم وضع حد للحروب ، واحلال السلام ، وانجاز التحرير ٠٠٠

ومن يقرأ « كامب دافيد » ، يحس ، تماما بأصالة بطلنا ، وبقدراته غير المحدودة وجهوده الخلاقة من أجل ان يحقق أحلام المنطقة ، التى طالما تطلعت الى تحقيقها ٠ فهو ، بحق فارس الأمل ٠٠٠ فارس العرب الشجاع الذى استطاع أن يحقق متطلبات العرب ، بدهاء ، وذكاء ، وقوة لا تبارى، من خلال منطق العصر ٠٠٠ لا من خلال الخطابة أو الغوغائية ، أو منطق العزلة ، أو الدهاليز الخلفية أو فقا للأساليب الميكافيللية الرخيصة ٠٠

ومصر ٠٠ خلال « كامب دافيد » ، حلت القضية حلا جذريا ، من خلال منطق التحرير الشامل والعادل ، فقد ربطت قضية سيناء بالجولان، بالضفة الغربية وغزة ، بحقوق الشعب الفلسطيني ، وأهمية اقامته لوطنه، حتى لا تكون هناك عوامل ضعف فى السلام القادم ، وحتى تؤكد كدولة طليعية ، لها ثقلها الحضارى والأيديولوجى والسياسى فى المنطقة ، وحدة الصف العربى وتضامنه ٠٠٠ وقد تجلى هذا بوضوح فى وثيقتى كامب دافيد ، والتى جاء فى صـدرها : ان السـلام يتطلب احترام السـيادة

والوحدة الاقليميه والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقـة ، وحقها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ،غير متعرضة للتهديدات أو أعمال عنف ٠٠ وان التقـدم تجاه هـذا الهدف ، من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من المصالح فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون على تنميه التطور الاقتصادى ، وفى الحفاظ على الاستقرار ، وتأكيد الأمن ٠٠٠ وأن السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية وبالاضـافة الى ذلك فى ظل معاهـدات السـلام يمكن للاطراف ـ على أساس التبادل ـ الموافقة على ترتيبات أمن خاصـة مثل مناطق منزوعة السلاح ، ومناطق ذات تسليح محدود ، ومحطات انذار مبكر ، ووجود قوات دولية وقوات اتصال واجراءات يتفق عليها للمراقبة والترتيبات الأخرى التى يتفقون أنها ذات فائدة مرجوة ٠

ان الأطراف ، اذ تضع هذه العوامل ، فى الاعتبـــار ، مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة للصراع فى الشرق الأوسط ، عن طريق عقد معاهدات سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ، بكل فقراتهما ، وهدفهم من ذلك ، هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار ، وهم يدركون ، أن السلام ، لكى يصبح معمرا ، يجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثيرا ، لذا ، فانهم ، يتفقون على أن هذا الاطار مناسب فى رأيهم ليشكل أساسا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب ، بل وكذلك بين اسرائيل وكل من جيرانها الآخرين مما يبدون استعدادا للتفاوض على السلام مع اسرائيل على هذا الآساس ٠ ان الأطراف اذ تضع هذا الهدف فى الاعتبار على دعوة كل أطراف النزاع ٠٠ ٠٠ ٠٠

كما تضمنت الوثيقة ، العديد من المكاسب بالنسبة للشعب الفلسطينى وبالنسبة لقضية فلسطين ، على أساس انها جوهر المشكلة ولبها ، ومما جاء فى الوثيقة : انها تنهى الاحتلال العسكرى الاسرائيلى للضـــفة الغربية ، وقطاع غزة ، وهو الاحتلال الذى رزح على قلب تلك المنطقة العزيزة بأثقاله سنوات طوال ٠٠ وأن يشترك الفلسطينيون فى اجراءات اقامة الحكم الذاتى فهم أولا وأخيرا أصحاب الحق فى أرضهم ٠٠ وأن يجرى العمل على تدعيم روح السلام التى استهدفتها مباحثات كامب دافيد ، وعملت جاهدة على تثبيت ركائزها ، بانهاء حالة الحرب التى سادت المنطقة ، وتحملت مصر فى سبيلها ما تحملت من عناء وفقر وفاقة واستشهاد وتضحيات جسيمة ٠٠ وعمدت الوثيقة ، أيضا ، على وضع حد للنزال الاسرائيلى ، بشـكل حاسم ، رشيد ، كريم ، يحفظ للأمة العربية كرامتها ، ويكفل لها الأمـن

والتقدم والرخاء ‥ وبعد أن وضع اطار السلام على ضوء هذا المسار العادل الشامل ، وضبط طريقه فى أسلوب مساند لوجهة النظر المصرية والعربية ، لهذا لم يكن مفهوما من جانب بعض الدول أن تقف من مصر هذا الموقف ، برغم ان كامب دافيد فى صـــالحها تماما ، فكريا وسياسيا وماديا ‥ وبرغم أن معاهدة السلام نموذج حى للسير فى طريق السلام من اجل تجنيب المنطقة ويلات الحرب والدمار ‥

ومن هذا المنظور كان « كامب دافيد » ، ومن خلال الوثيقتين اللتين تم توقيعهما ، بدا جسر سلام حقيقى الى العصر الآمن ، الذى يوقف نزيف الحرب في الشرق الأوسط ‥ ومن خلاله ، وبمقتضاه ، تم توقيع « معاهدة السلام » فى واشنطن بين مصر واسرائيل فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، التى تنقل مصر والمنطقة ، الى عصر جديد ، يلغى الحروب ، ويفتح الطريق على مصراعيه من أجل استعادة الانسان المصري والعربى ، ليبنى من جديد ، وليعوض ما فاته من مكاسب وانتصارات محلية وعالمية ، حرمته طويلا ، من المشاركة فى صياغة التقدم الحضارى والفكرى والانسانى فى عالمنا المعاصر ‥

وعصر السلام ‥ أو المرحلة الجديدة ، التى نحن على أبوابها بعـد توقيع معاهدة الســلام ، عصر شاق ، لانه يحتــاج الى استعادة الأنفس والأفئدة ، من أجل البناء فى مختلف الميادين والمجالات ‥ وربما كانت أصعب الأبنية ‥ بنــاء داخل الانسان المصرى والعربى ، من خلال قيم جـديدة تتلاءم وتتوافق مع المرحلة الفكرية والســياسية التى نحن على أبوابها ‥ فبدون هذا البنــاء العظيم ، لا يمكن أن يعـلو الصرح قويا ، شامخا ‥

الفصل الرابع :

الذين يرفضون السلام يرفضونه لماذا ؟

« كل الانتهازيين نمور من ورق • كل الرافضين نمور من ورق ، سرعان ما تتكشف دعاويهم الكاذبة ومؤامراتهم الخبيثة • فهذا الرفض لا يقوم على موقف شريف ، بقدر ما يقوم على صراع من أجل الزعامة والكراسي والمآرب التسلقية » ••

● ظاهرة الرفض فى السياسة المصرية والعربية ، احدى الظواهر الحديثة التى تمخضت عن ظروف ٥ يونيو ١٩٦٧ · فقد أحدثت ظروف الهزيمة هزة عنيفه فى بنيه الواقع المصرى والعربى ، واحدثت هذه (الهزة) آثارها البعيدة ، والقويه فى الوجدان المصرى والعربى · وقد شارك فى اذكاء هذه الظاهرة وتعميقها جولات الصراع العربى - الاسرائيلى ··· و لغيرها من الظواهر فى المنطقه العربيه، تعددت طبيعتها واشكالها واساليبها وفقـا ، للاسلوب المطروح لحل هذا الصراع ، واستنادا الى الأفكار التى تعبر عنها النظم التى تتزعمها ، بالاضافة ، الى أن ظروف الصراع الدولى بين الشرق والغرب ، بين موســكو وواشنطن ، كانت تشارك بشكل أو بآخر فى هذا الصراع ···

من خلال هذا الصراع ، الذى شهدته المنطقة نما وتعاظم «الرفض»، أو ما اصطلح على تعريفه بـ (جبهة الرفض) · وهذا الرفض ، طبعا ، ليس له علاقة بمفهوم الرفض الفلسفى أو الميتافيزيقى الذى تحدث عنه سارتر أو كامى ، على أساس أنه رفض الواقع من أجل تغييره ··· ولا هو ، أيضا ، ذلك الفهم عند كولن ويلسن أو هربرت ماركوزا ··· هذا الرفض فلسفى أو فكرى ، نابع من موقف أيديولوجى ، أصيل ··· لكن الرفض الذى خلقته ظروف ٦٧ ، وعمقته ، ليس ذلك الرفض المبدئى ، بقدر ما هو ظاهرة ترتبط بالنزعات الفردية والتفسـيرات الحزبية المعارضة أو الأعمال التى تتعارض مع مواقف الثورة المصرية والعربية فى تطورها من أجل منجزات التحرير والسلام والديموقراطية على أرض مصر والآرض العربية ···

وهذا التيار ، كان سـلاحه التشكيك فى كل محـاولة شريفة ، تخطوها مصر ، منذ هزيمة ٦٧ ، وقد وصل هذا التشكيك الى حـد التشكيك فى حرب أكتوبر ٧٣ ، وهوجم وقف اطلاق النـار ، ثم هوجمت مفاوضات فك الاشتباك ، بل وصل هذا التشكيك الى حد اتهام مصر بالخيانة والتآمر مع الاستعمار والصهيونية !

ولتوضيح الصورة بشكل أعمق ··· ينبغى أن نعود بشكل سريع الى وضع الصراع العـــربى - الاسرائيلى فى السنوات الأخيرة ، لنعرف الصورة بأبعادها وجذورها بشكل عميق · فمن المعروف أن الجولة الأولى من هذا الصراع ، كانت بتوقيع اتفاقية للهدنة ، من خلال اتفاقية رودس ١٩٤٩ ، وليس باتفاقية حرب أو تسلح ، وكان هذا معناه ، أن الصراع مفتوح لجولات أخرى ، خاصة وأن الأوضاع انتهت بصورة غير عادلة للشعب

الفلسطيني وللموقف العربي ككل ، واقتنع العرب ، أن تغيير هذه الصورة غير العادله أنما يتحقق بالقـوة وبنضال طويل وشـاق مع الصهيونية واسرائيل ... واستمر الوضع بعد ١٩٤٨ ، ولسنوات طويلة لا يعكس نية جادة لدى العرب لتغييره بالقوة الى أن انعقد مؤتمر القمة العربي الأول بالقاهرة سنة ١٩٦٤ ، وفيه طرحت فكرة اقامة قيادة عربية عسكرية موحدة تؤازر الضغط العربي لمنع اسرائيل من تحويل نهر الأردن باعتبارها القضية التى وراء عقد المؤتمر بشكل مباشر ، بالاضافة الى اعلان الهوية السياسية للشعب الفلسطيني .

وابتـداء من عـام ١٩٦٤ حتى ١٩٦٧ ، ساد الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، تكييف مؤداه ، أنه لابد من انتقاء الهوية الصـهيونية ، وأن القضـية قضـية مصير بالنسـبة للشـعوب العربيـة وترتبط أساسا بجـوهر القومية العربية ، وأن الطريق لتحرير فلسطين ، انما يقـوم على القوة المسلحة المدعمة بالتضامن العربي ، وقد دعمت هذه النظرة عوامل متنوعة عديدة ، دولية وقومية ومحلية ، منها انتهاج العالم العربي سياسة قومية وارتباطه بسياسة الحياد الايجابي ، كما أن ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة في منتصف الستينات ، كان له أثره الفعال ودوره المتغير في تأكيد طبيعة المرحلة ... هذا بالاضافة الى ارتباط السياسة الأمريكية باسرائيل وانحيازها لها بشكل واضح ، وربما أبرز هـذا انحياز كثير من الأنظمة العربية الى موسكو وارتباطها بدول المعسكر الاشتراكي ، مما فرض أشكالا بذاتها من الصراع ... الا أن منطق الصدام مع اسرائيل ، سرعان ما اعتراه التغير بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وتولد منطق آخر لم ترض عنه المقاومة الفلسطينية ولا بعض الدول العربية ... والغـريب أن الكثير من الدول الكبرى ممن كانت ترعى المنطقة ، وخاصة دول المعسكر الاشتراكي ، لـم تفعل كثيرا أو قليلا للمشكلة الفلسطينية، ولا حيال الأراضى التى تم احتلالها بقوة حرب ٦٧ ، وكأنها استمرأت ما حدث ، أو باركته ، بالسكوت عليه ! وبعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم بروز أول مبدأ من مبادىء الرفض ، وهو عدم الاعتراف بالوجود الاسرائيلي ، وقد تكون هذه نظرة قديمة ، بالنظر الى أنها كانت جزءا من منطق ما قبل ٦٧ ، الا أن الجدة أو الحداثة هنا ، فيها ، نابعة من أن تيار الرفض العربي ، تشكل ونما ، عقب هـذا القرار التاريخ (قرار ٢٤٢) .. وقد تبدل منطق الصـدام مع اسرائيل ، والحـل الثوري القومي للصراع بمنطق يقـوم على « قومية المعركة » و « قومية الحل السلمي » معا .. والحقيقة ، أنها كانت صـيغة معقولة عكست توازنات القوى وطبيعة العـلاقات

العربيه ، فالدور الامريكي في المنطقه في ذلك الوقت كان قد تعاظم وتصعد بشكل كبير وواضح ، والخبرة العربيه مع السوفيت انتهت بشيء اقرب الى خيبه الامل ، وقدره العرب العسكريه في حسم النزاع كانت في الميزان ، وباتت محل تساؤلات عديده ، ويكفي ما كتب عن أسباب فشل القيادة العامه في حرب ١٩٦٧ .. !

ورغم ان استراتيجيه الجمع بين قوميه المعركه وقوميه الحل السلمي ، نجحت الى حد كبير في اسكات منطق الرفض العربي ، الذي كان حتى ماقبل ١٩٧٠ متشبثا ، متمسكا بالحل الثوري للصراع ، الا ان انتقادات الرفض لاستراتيجيه ٦٧ وما اعقبهـا ، كانت حادة ، عنيفـه ، بل ومبكره ، ولا يخفى ان هـذه الاستراتيجيه لمحت في ١٩٦٩ ، الى ان مصر ستدخل المعركة وحدها لعدم وجود خطة سياسية أو عسكرية عربية شاملة ، وعندما قبل عبد الناصر « مبادرة روجرز » في اغسطس ١٩٧٠ ، في ذلك الوقت شنت العـديد من القوى وفي مقدمتهـا منظمات المقـاومة الفلسطينية الهجوم العنيف ، الى حـد أن اتهموه بتصفية القضية الفلسطينية والخيانة ، وكان هذا قبل وفاته بأيام !

وبنفس استراتيجية قومية المعركة والحـل السلمي ، دخلت مصـر معارك حرب الاستنزاف ، ثم حرب أكتـوبر ١٩٧٣ ، وكسبـها مع العرب ..

وكان لانتصـار حرب أكتوبر وقعه على جبهـة الرفض العربي ، التي بدأت تكشف عن مخططها ووجهها بشكل واضح .. الا أن جزءا من هذه الجبهة ، أو من هذه الأطراف الرافضة ، دخلت في خلافات حادة ، وعنيفة مع مصر ، وصلت ذروتها بعقد مؤتمر طرابلس ، والذي أسفر عن تشكيل ما يعرف بالجبهة القوميـة مع كل من سـوريا وليبيا والجزائر واليمن الديمقراطيـة ومنظمة التحـرير الفلسطينية ، ورغم ان العراق قد حضر جانبا من المؤتمر الا أنه انسحب في البداية ، ولم يحـدد موقفه بشكل واضح في ذلك الوقت ، لكن عادت جبهة الرفض واتخـذت مواقفها الساخرة ضد سياسة مصر بشكل واضح اثر مفاوضات كامب دافيد وتوقيع اتفاقيته ، ثم بعد توقيع معاهدة السـلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، وذلك من خلال مؤتمر وزراء خارجية دول الرفض الذي عقد في بغداد صبيحة توقيع معاهدة السلام في واشنطن ..

وهكذا يبدو أي موقف يتخذه تيار الرفض ، وجبهة الرفض ، انما هو

محصلة طبيعية لعوامل الخلاف والاتفاق بين سياسات أطرافه التى تعكس انتماءاته العقائدية ومصالحه الذاتية ومآربه الخاصه ٠٠ ولذلك نرى ، أن الحل السلمي فى حالة الاقرار به ، وهو موافق عليه اما بطريقه غير مباشرة من سوريا بصفه أساسية أو فى حالة الاعتراف به من حيث المبدا يتم من خلال تضامن عربى قوى ، وبقرارات جماعية ، ومن هنا تمسك جبهه الرفض بالشعارات التى طرحت فى مؤتمرات القمه العربيه ، خاصــه مؤتمر الرباط عى عام ١٩٧٤ ، وما جاء فى آحد بنوده عن « عدم قبـول اى مجاملة لتحقيق تسويات سياسية جزئية ، انطلاقا من قومية القضـيه ووحـدتها ٠٠ وقد فهمت بعض قوى الرفض مفاوضات فك الاشـتباك الثانى فى عام ١٩٧٥ ، على أساس انها انفاقية جزئيـة مع اسرائيل ، وأنهـا خروج عن الخط العـربى . كما انتقد فيهـا ما ورد بشـأن تقييد استخدام القوة فى حل الصراع ، كمـا لم تقبل قوى الرفض التصـور الذى تتبناه مصر وتنتهجه بشأن حل مشكلة الشرق الأوسط ، والذى يجمع بين الأسلوبين السـوفيتى (أى حل القضـية من خـلال مؤتمر جنيف) . والأمريكى (أى حل القضية من خلال اتباع سياسة الخطوة خطوة) .. وعلى هذا هاجمت جبهة ارفض ، مبادرة السـادات الى القـدس ، وهاجمت « جبهـة الرفض » مباحثـات كامب دافيد ، ثم هاجمت توقيع معاهدة السلام .. ثم .. ثم ..

ثم أن جبهة الرفض ، ترتبط ، ارتباطا وثيقا بالسوفيت ، ولذلك تهاجم الغرب ، وعلى رأسه أمريكا .. فكل ما يأتى من أمريكا ، فهـو خيانة ، وكل ما هو آت من الشرق يتسم بالوطنية ، من وجهـة نظر الرفض ، لأن « الرفض » يرى ، أنه لابد أن تسير ثورات المنطقة أو حركاتها الوطنية فى ركاب السوفيت ، من خلال منطق تكييف الأمـور على أساس أن ثورات أو حركات المنطقة الوطنية ، جزء أو حليف للمعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه أممية موسكو !

ومن خلال تطور المعارك ، وتشابك المصالح فى المنطقة العربية ، تبلور تيار الرفض بشكل واضح ، وتجلى ، حتى أنه يمكننا أن نقول :

أن تيـار الرفض العربى ، أو جبهـة الرفض العربية ، نمت وتعاظمت ، مع صراع القـوى الوطنيـة الشريفة والقـوى الامبريالية والصهيونية فى منطقة الشرق الأوسط ومع احتدام جوهر الصراع بين المعسـكرين والظروف الدولية ٠٠ وقد قوى هـذا التيـار الرافض ،

وقويت جبهته بمساعدة القوى الخارجية وعلى رأسها موسكو ومؤازرة الاحزاب الشيوعية واليسارية ٠

وحتى اذا كانت روافد هذا الرفض ، تتباين أفكارها وسياساتها ، الا أنها تلتقى ، فى أنها ترفض حل المشكلة القومية بمعزل عن المعسكر الاشتراكى ، وترفض سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة ، وتدافع عما تسميه بوحدة القوى الثورية العربية فى مواجهة ما تسميه بمحور أمريكا فى الشرق الأوسط ٠٠ وبالطبع جبهة الرفض ، أو تيار الرفض على مستوى البلاد العربية ، اذا كان له ما يسانده من القوى الدولية ومن الأحزاب الشيوعية ، التى تذكى سياسته وتقف الى جانبه على أساس انه جزء من جبهة الصراع ضد الغرب (وأساسا أمريكا) ، فان هذا التيار أو هذه الجبهة ينتمى اليها تيار الرفض المحلى ، الذى يمارس كافة الاعمال المعادية والمناوئة لسياسة مصر الوطنية الديمقراطيه ، والتى خاضت ثورة ١٥ مايو ٧١ ، وآعلنت القرار العظيم ، وخاضت حرب أكتوبر ٧٣ ، وقامت بمبادرة نوفمبر ٧٧ الجريئة بالذهاب الى القدس، ووقعت وثيقتى كامب دافيد ، ووقعت معاهدة السلام من أجل احلال السلام العادل والشامل فى المنطقة وحل أزمة الشرق الأوسط فى جوهرها ٠٠ وتجلى نشاط تيار الرفض (داخليا) ، فى عديد من الأعمال المخربة والمعادية ، مثل حركة ١٨ يناير الشهيرة التى حاولت أن تخرب وتدمر ٠٠ وحركات «الجماعات الاسلامية» التى مارست وتمارس هجومها وعدائها وأعمالها الارهابية ٠٠ وحركات فلول التنظيمات القديمة ، التى لازالت تعتقد انها قادرة على تخريب ودمار مصر ، برغم مما يتم من انتصارات شعبية ووطنية ، يقودها بطلنا السادات على كافة المستويات ، والتى من حقق منجزات المرحلة التحريرية ، ووقع معاهدة السلام ، والتى من خلالها يغير خارطة مصر والمنطقة فى اتجاه : مصر السلام ٠٠ مصر التى تبنى وتحاول أن تعوض ما فاتها بسبب الحروب والصراعات القديمة التى أخذت من عمرها وطاقاتها وأبنائها الكثير والكثير ٠٠

ومن ملاحظتنا لتيار حركة الرفض ، نجد ، انه لا يبغى غير ضرب مصالح الجماهير فى الداخل والخارج ، وتحويل كل شىء الى دمار ، من أجل تحقيق مصالحه الحزبية أو مآربه فى السلطة أو مصالحه الشخصية والتى ترتبط بقوى خارجية تبغى قلب نظام الحكم ، دون الاحتفال بحل المشكلة الوطنية أو القومية ، أو حل أزمة الشرق الأوسط فى جوهرها ٠٠ فليس من الهام فى نظر الرافضين ، احلال السلام أو حل أزمة الشرق الأوسط ،

بقدر ما هو هام ، فى نظرهم ، تحقيق مخططهم الاستراتيجى والتكتيكى عن طريق الأحزاب الرافضة أو القوى الخارجية من أجل ربط حركة المنطقة وثورات المنطقة وثروات المنطقة بمعسكر بذاته وبقـــوى طبقية بذاتها ..

ويلتقى فى تيار الرفض الكثير من الروافد التى تتباين فى أفكارها واتجاهاتها .. ولكن يجمعها فى النهاية هدف واحد .. هو محاولة قلب التيار لصالحها ..

ولكن هيهـات ، فكيف يتأتى لهم هذا ، وهم تيـار معاد للثورات الوطنية ، وجزء من « الثورة المضادة » فى المنطقة ؟!

ولعل أول سلبيات حركة الرفض فى المنطقة ، أنها تفصـــل فى كثير من الأحيان . مصالح أقطارها الذاتية على الأفكار التى تطرحها لحل الصراع .. فالعراق ، مثلا ، لم يتخل عن عقدة الزعامة العربية والصدام مع سوريا فكريا .. وسوريا ، تسعى ، فى ذات الوقت ، لاستقطاب فصائل المقاومة لتحقيق انتصار ما ضد العراق .. وليبيا والجزائر ، يمارسان ، مضاعفات ضغوطهما من اجل حل مشاكل اقليمية بحته .. هـذا الى جانب ، ان حـركة الرفض ، حـركة متناقضة مع بعضـها .. فما الذى يجمع بين سياسة الأحزاب الشيوعية فى المنطقة ، وبين حزب البعث العراقى وحزب البعث السورى ، وبين التنظيمات الناصرية فى سـوريا ولبنـان ومصر .. وبين الجمـاعات الاسـلامية .. ؟ وما الذى يجمع بين هؤلاء ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وسياسة الملك حسين..؟ اننا أمام أفكار متضاربة ، وأيديولوجيات مختلفة .. لا يحميها غير برنامج الرفض فحسب ، ولكن كفكر ، وكأيديولوجية ، كل يختلف عن الآخر ، فى النظرية ، وفى الممارسة ، فى الاستراتيجية وفى التكتيك .. فى الفكر ، وفى العمل .. !

ثم ماذا فعلته جبهة الرفض ، بالنسبة لحل القضية طوال الفترة الأخـيرة ؟

ان الحصـيلة ، مجـرد هجـوم ، ومؤتمـرات ، دونما محـاولة اتصال مباشر بأصحاب وأطراف النزاع الأساسى : اسرائيل .. وقد وجه كامب دافيد الدعوة ، لكل أصحاب الرفض .. بل وإلى كل أطـراف النزاع .. فلما أحسوا انهم سيتورطون ، هربوا ، لأنهم لا يريدون أن يقدموا على حل القضية فى جوهرها ، بقدر ما أرادوا ، وما يريدون ،

اثارة الزوابع والعواصف والأعاصير فى وجـه كل المحاولات فى طريق السلام !

فهم لا يريدون غير مآربهم الشخصية والحزبية ٠٠ !

وفى كل المحـــاولات ، التى قاءت من قبـــل جبهة الرفض ، وبالذات ، فى الفترة الأخيرة ، والتى تصعدت مع مباحثات كامب دافيد وتوقيع وثيقتى السلام ، ثم « معــاهدة الســلام » ٠٠ تأكد ، ان قادة أو زعماء الرفض ، بموقفهم غير الجدلى ، هذا ، انما ، « يسبحون » ضـد التيار الحضارى وضد تيار العصر ــ هذا التيـــار الذى اكتسب فى المنطقه العربيه دفعات قويه ، متعاظمه ، ومتجددة ، بعد نجـاح كامب دافيد ، وبعد توقيع معاهدة السلام . ويبدو ان السباحه ضد التيار الحضارى والعالمى ، اصبحت نوعا من الادمان ، بعـد ان كانت نزوة او رغبه فى المعارضة ، فالسباحة ضد تيار العصر وضـــد المنطق الحضارى ، تعنى التخلف والغوغائيه ، والانهيـار ٠ وامام كل هـذا ، لا يصبح للرفض اى منطق ، غير ان اصحاب الرفض يحاولون ان يجعلوا من انفسهم عقبه فى سبيل عودة الحضاره العربيه ، لكى تاخذ مكانهـا تحت الشمس ، فهم بموقفهم هذا ، يرفضون الاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وينكرون عليه فرصـــته فى تقرير الكيفيـة التى يحكم بها نفســه حكما ذاتيـا ، ويرغبون فى استمرار اقامة المسـتوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية وغزة ، كما أنهم ينكرون على مصـر أن تحرر ارضها وأن تســـتعيد سيناء وكل أرض ضاعت منهـــا منذ عدوان ١٩٦٧ ــ وهذا معناه استمرار للنزيف الاقتصادى والمادى والاجتماعى الذى تعـانى منه مصر الأمرين ، ومنذ سنوات ليست بالقليلة ٠٠ هـذا الى جانب ، أن زعماء الرفض بموقفهم ، هذا ، أيضا ، يؤكدون رغبتهم فى الدم والعنف والفوضى ، فهم يرفضون منطق الســـلام والتفاوض المصرى ، ضاربين عرض الحائط بموقف مصر ومن معها من دول تمثل أكثر من ثلثى العالم المتحضر ، ممن يرتبطـون بالرغبة فى السلام العادل والشريف ، هذا الى جانب ، أنهم ، بمنطقهم هذا ، يسعون الى تعميق الشرخ الذى أحدثوه فى وحدة الصف العربى ، فموقفهم هـذا يعنى التمادى والاستمرار فى مزيد من التمزيق .. طبعا .. هذا الى جانب ، انهم بموقفهم هـذا ، يقفون ضـــد متطلبـات جماهيرهم والجمــاهير العربية التى تبغى السـلام العادل الشريف ، ولا يهمها من أمر الشجار على الزعامة والقيادة شيئا .. فما يهم سوريا أن تعـــود لها الجولان واراضيها التى فقدتها بعدوان ٦٧ .. وما يهم أبناء فلسطين أن يرفع

شهم الحكم العسكرى الصهيونى ، ويسنون لهم الارادة والشرعية فى اقامة وطنهم ، وان تحرر عزه .. والقــدس .. وتعود الارض حرة ، بلا احتلال ، وتصبح الجماهير آمنه على يومها وغدها من خلال سـلم وامن دائمين عادلين يوفران لها مجتمع التقدم والرخاء والديمقراطية والازدهار فى ظل حياة رحبة كريمة .. وهذا كله ، يفتح البـاب له « كامب دافيد » ، و « معاهدة السلام » .. ففيما يختص بمبدا تحرير الارض العربية ، فان كامب دافيد ، يؤكد ، تحرير سيناء والجولان ، بالكامل ، خلال فترة وجيزة لا تتعدى ثلاث سـنوات ، وتحرير سـيناء مثال واضح على ذلك ، كما يحقق خطوة أخرى نحو تحرير الضـفة الغربية وغزة ، بانهاء الحكم العسكرى الاسرائيلى واقامه كيـان ذاتى للشعب الفلسطينى خلال مرحله انتقال ، وهذا خطوة ناجعه نحو التحرير الكامل واقامة الوطن الفلسطينى الحر ، وقد تم الاتفاق على انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفه الغربيه ، وغزة ، الى مواقع محدده تم الاتفاق عليها ، وان تقوم سلطه الحكم الذاتى للفلسطينيين بالانتخـاب الحر المباشر وتتولى شئون نفسها بنفسها ، على ان يكون ذلك خـلال فترة انتقالية لا تزيد عن خمس سـنوات .. وبالنسـبة لموضـوع المستوطنات ، والذى دائما ، يحـاول الرافضون أن يزجوا به ، فان الموقف واضح منه تمـاما .. ومطلب اجـلاء المستوطنات من أهم متطلبات كامب دافيد ، ومعاهدة السلام توقف المستوطنات عند حدها ، فهى كيانات غير شرعية ، تستند الى قوة الاحتلال والسلطة العسكرية الصـهيونية ، والتى تسقط بعودة الأرض الى أهليهـا وباقامة الحـكم الذاتى للفلسطينيين .. وكان موقف مصر منذ مبادرة بطلنا بالذهاب الى القـدس ، واضحا ، وواضحا فى كامب دافيـد وفى اتفاق السـلام . وكلمات السادات نفسها تؤكد هذا :

« يجب ان تنسحب اسرائيل من القـدس الى خط الهدنة المبين فى اتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٩٤٩ ، طبقـا لمبـدأ عـدم جواز الاستيلاء على الأرض بطريق الحـرب ، وتعود السـيادة والادارة العربية الى القـدس العربية ، ويشكل مجلس بلدى مشترك للمدينة من عدد متساو من الأعضاء الفلسطينيين والاسرائيليين ، يتولى تنظيم شئون المرافق العامة والنقـل والسـياحة والخدمات البريدية والهاتفية ، وتتعهد الأطراف بضمان حرية العبادة وحرية

الوصول الى الأماكن المقدسة وزيارتها والمرور اليها دون أى تفرقة أو تمييز .. » ..

هذا الى جانب ، ان كامب دافيد واتفاق السلام ، يوضحان موقف مصر والعالم المتحضر من أزمة الشرق الفلسطيني .. فاطار السلام ، أنزاع ، وبالذات ، بالنسبة للشعب الفلسطيني .. فاطار السلام ، الذى تفاوض فيه الرئيس السادات مع الرئس كارتر والرئيس الاسرائيلى بيجن ، ينص على التسوية التى تعترف بالحقوق الشرعية لأبناء فلسطين ، وتشكل اتفاقية السلام ، بدايه حقيقة نحو تحقيق الأهداف الوطنية والقومية الحقيقية للفلسطينيين ، فمن خلال هذا الاطار ، يمكن للفلسطينيين أن يقيموا مجتمعهم الجديد ، ويحددوا مصيرهم بشكل عظيم ، ويكون لهم وطنهم الحر المستقل المبنى على الكرامة والعداله ..

لقد اتفق العرب ، جميعا ، سواء من قبل منهم قرار مجلس الأمن ٢٤٢ أو حتى من رفضه على تحديد المطالب العربية التالية :

أولا : تحرير الأرض العربية بعد عدوان ٦٧ ، من كل احتلال ، وعودة كل شبر الى العرب .

ثانيا : ضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

والسؤال ، الذى نطرحه ، منطقيا وقانونيا وسياسيا ... هل كامب دافيد ومعاهدة السلام ، لا يحققان هذا .. ؟

ان كامب دافيد ، واتفاق السلام .. يردان على هذا السؤال بوضوح وجلاء .. اذ أنهما يلبيان مطالب العرب ، ومن خلال اطار السلام يتحقق التحرير ، ويقوم السلام العادل وتضمن الحقوق المشروعة لشعب فلسطين على الأرض العربية ..

لذلك ، ليس هناك ، مبرر ، للرفض ، غير أن أصحابه مصابون بعقدة الزعامة ، أو عقدة الخلاف .. أو « عقدة الدم » .. ومآربهم ، كما أوضحنا ، لا تستهدف حل أزمة الشرق الأوسط فى جوهرها ، ولا تحرير الأرض العربية ولا ضمان الحقوق الشرعية لشعب فلسطين .. بقدر ما ينزعون الى أهداف سياسية وأيديولوجية تحترم مصالحهم فى المنطقة .. والأهداف ، طبعا ، هى تأكيد مبادىء الشيوعية من قبل الأحزاب الشيوعية فى المنطقة ، أو تأكيد حركة البعث من قبل أحزاب البعث العربى فى المنطقة ، أو تأكيد أهداف الجماعات الاسلامية التى بدأت تطفو على السطح وتتحرك كامتداد لتنظيمات الأخوان المسلمين ..

وكل هذه الاتجاهات ، أو التحركات ، لا تخدم غير تيار يبغى ضرب مكاسب الجماهير الوطنية والديمقراطية فى الصميم ، ويعود بالثورة الى الوراء أو يحرف اتجاهها من أجل أن تخدم مصالحا بذاتها ، غريبة عن الأرض المصرية العربية ، دخيلة على الجماهير التى تعى كل ما يحدث حولها من تيـــارات تبغى النيـــل منها ومن مكاســـبها الوطنية والديمقراطية ..

وفى الحقيقة أن كل ما يخدم الرفض (داخليا) ، أو (خارجيا) ، لا يمكننا الا ان نصنفه تحت اسم الحزب الرجعى ـ أو التيار الرجعى الذى يرمى الى تحقيق مآربه ومبادئه الخاصة .. وهذا بشكل أو بآخر يمثل ثورة مضـــادة ، ضـــد جماهيرنا ، وضـــد الجماهير العربية ، التى عرفت طريقها وآمالها ومطامحها ، من خلال خبرتهـــا العريضة فى الممارسة والتطبيق ، ومن خلال صـــدق وأصالة بطلنا ومعلمنـــا الثورى محمد أنور الســادات ، الذى هـــو ، بحق فارس الأمل لكل المنطقة ، لكونه يمثل ارادة الانسان المصرى والعربى .. ويمثل مطامحه وأحـــلامه الحـــرة الشريفة ، من أجل التحرر من كل تراكمـــات المـــاضى البغيض ورواسبه ، واقامة حيـــاة حرة كريمة ، شريفة ، تســـتهدف البنـــاء ، والتقدم ، والرخاء ، والأمن .. فى اطار السلام المعقود .. وانطلاقا من ثورة ١٥ مايو ٧١ .. وايمانا بانسان أكتوبر العظيم ..

●

الرجعية .. بلا حدود

الرجعية .. لا يمكن فهمها الا من خلال تصور ديناميكى لطبيعة المعوقات التى مرت على المجتمع المصرى والواقع العربى .. قبـــل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ، كانت هناك تنظيمات سياسية عديدة ، لا تعبر عن آمال الجماهير ، بقدر ما تعبر عن مصالح وفئات وطبقات ، وكم تنظيم من هذه التنظيمات كان له شكله الخاص ، وتاريخه الخاص .. ولعـــل « تنظيم الأخوان المسلمين » ، كان من أغرب هذه التنظيمات ، وفى واقع أمره ، كان أكثرها رجعية وديماجوجية ، لأنه كان أكثرها عـــداء لكل تطور حقيقى ، أو أى تقدم يحرزه الشعب .. ومن الملاحظ ، أن هـــذا التنظيم بدأ من الأزمات التى مرت بهـــا الأمة ، كحل ديماجوجى . فقد بدأت الفكرة مع أزمة العشرينـــات ، وبدأ التنفيـــذ الفعلى مع أزمة الثلاثينات ، وتوزع وتصعد مع أزمة الأربعينات . وطبيعة ارتبـــاط التنظيمات بالأزمة ، يذكرنا بالتنظيمات الفاشية فى أوربا ، وبالذات

في ايطاليا ، فقد بدأت هذه التنظيمات ، خـلال الفترة التي عجزت فيها الاحزاب التقليديه عن الاستمرار ، وكمحاوله ل (سرقة) المبادرة من الأحزاب الاشتراكية .. وبتأمل الفاشية في ايطاليا والمانيا ، اكثر، يتأكد لنا ، فاشيه تنظيم الاخوان ، فهم يعتمدون على الزعيم الملهم ، او قائد الجماعة ، الذي لا يخطىء ، بل اننا اذا تأملنا الصفات التي تغدق على قادة (الجماعة) ، لوجدناها تصل الى مستوى صفات النبوة ! ثم كان التنظيم يفترض في القاعدة ، ايمانا غيبيا ، لا مناقشة فيه للقيادة ، تحت ستار الدين .. ! وكالفاشية ، لم يكن ، للاخـوان المسلمين ، معيارا أخلاقيا ، فهم في سبيل تحقيق اغراضهم ، على استعداد للنسف والتدمير والقتل .. ! ولكن مع من كان يقف الاخوان وجماعاتهم؟ هل كانوا ظاهرة شاذة بين الرجعيين ؟ لقد وقفوا الى جانب الاستعمار طوال تاريخ طويل ، انتهى بهم الى أن أصبحوا العمـلاء الاول للحلف المركزي في المنطقة العربية .. ووقفوا ، ايضا ، مع النظام الرجعي ، ابان عهد الملكية ، ومن اجرأ ما قاموا به في تاريخهم الطويل ، عريضة تقدموا بها الى الملك السابق فاروق ، عام ١٩٤١ ، طلبوا فيها اجبار رجال الدولة على الصلاة ! من هنا ، نتبين الطـابع الديماجوجي في الدعوة .. طغيان الملك لا يهم ، موت الناس نتيجة الاهمال لا يهم ، التآمر مع قوات الاحتلال لا يهم ، الحياه في أسوأ مستوى للمعيشة ، لا تهم .. انما المهم ، هو اجبار رجال الدولة على الصلاة ، وهو أسلوب موضوع ، خصيصا للجماهير ، التي لم تكن تدرك ، نتيجة لغيبة القوى الثورية أو الطليعية في ذلك الوقت ، حقيقة الأزمة ، وتتلهف الى حـل قريب من مشاعرها . ولكن بعد ثورة يوليو ٥٢ ، انكشف الأخـوان ، كتنظيم ، وكأصحاب دعـوة ، فقد كان جـل همهم ، هو السيطرة على الحكم ، حتى دون صورة واضحة ، ولا غير واضحة لهذا النظام ، فكل ما كانوا يقولونه ، في هذا الموضوع ، كلام عن قطع يد السـارق ، ومصادرة الفنون ، واجبار الدين على الناس !

ان الاخوان ، وجماعاتهم ، التي كانت موجودة قبل الثورة ، والتي عادت ومارست نشاطاتها سريا بعد ذلك ، وظهرت في صور حديثة أخرى مثل « الجماعات الاسلامية » ، جزء من الرجعية ، التي كانت موجودة قبـل الثـورة والتي حاولت الاستمرار . ولذلك ، واتباعا لسـياستهم الميكافيللية ، ليس غريبا ، أن (يستعملوا) النساء ، وهم الذين يهدفون الى تعطيل طاقات النساء ، من أجل خدمة أغراضهم ، ولذلك ليس غريبا أن تسمع أن (أمير الجماعة) في بلدة تابعة للمنيا أو أسيوط ، أو غيرها من مدن

الصعيد أو القاهرة أو بحرى ، أمر فتاة بألا تتزوج فلانا ، وانه أبطل زواجا أو أنهى عقد زواج لأنه فى رأيه لا يقوم على خدمة الجماعة أو يتعارض دينيا ، ولم يكن غريبا ، أيضا ، أن يمزقوا القرآن ، لكى يضعوا فى جوفه مسدساتهم وطبنجاتهم ومدياتهم !

ولقد كان الارهاب ، دائما ، وسيلة أكثر الفئات رجعية لتطويق الحركات الوطنية والديمقراطية .. فالشاب المتعصب ، دينيا ، الذى قتل المهاتما غاندى ، ينتمى الى نفس المعسكر الذى ينتمى اليه من اغتال الزعيم الأمريكى ابراهام النكولن محرر العبيد ، والى نفس المعسكر ، أيضا ، ينتمى من اغتال جون كنيدى خوفا من « أفكاره القلقة » على الرجعية الأمريكية والصهيونية .. والى نفس معسكر قاتل جون كنيدى ، وقاتل غاندى ، وقاتل لنكولن ، ينتمى حسين توفيق وسعيد رمضان ، وقاتل الشيخ الذهبى ، وكل صناع الدم والارهاب والقتل ، وممن سولت لهم أنفسهم الاتجار باسم الدين ، والذين يحاولون بأعمالهم أن يقفوا أمام متغيرات العصر أو أمام مكاسب الجماهير : الذين حاولوا التعامل مع فئات أجنبية ، والذين حاولوا الاعتماد على قوى دولية وخارجية : لاشاعة أفكار غريبة ودخيلة عن واقع وأخلاقيات وقيم مصر ، والذين حاولوا أن يقللوا ، أو يشككوا ، فى بطولات وانتصارات الرئيس المؤمن السادات .. ابتداء من اعلانه القرار وخوضه لحرب رمضان العظيمة .. ومبادرته النبيلة الجريئة الشجاعة بالذهاب الى القدس .. وتتويجه لكل جهوده بتوقيع وثيقتى كامب دافيد ومعاهدة السلام ..

ولكن هيهات .. فمصر عظيمة ، وقوية ، وبطلها يعطى بسخاء .. وهذا العطاء لا يقف عند حد ..

ولكن .. تصور أن الفكر الرجعى من الممكن أن ينتهى ، تماما ، وبشكل حاسم ، وسريع ، تصور مثالى وشديد التفاؤل ، ولا يتفق مع النظرة العلمية للأمور .

انها معركة طويلة ، أصعب من المعارك العسكرية والسياسية والاقتصادية ، لأنها معارك داخل العقول والنفوس والأفئدة ، ومحاولة لهز القيم الموروثة ..

وصعوبة المعركة ، ان الفكر الرجعى ، يلبس أشكالا مختلفة ، وثيابا متنوعة ، ضيقة أحيانا ، وفضفاضة أحيانا أخرى ، انه قادر على التخفى والامتزاج ، حتى انه ليختلط بأكثر الأفكار تقدمية ، وبالشباب بالذات ، حيث يمكن بث الأفكار بيسر .. وصعوبة المعركة ، أيضا ، تحديد المكان الذى يتم فيه (تفريخ) هذا الفكر ...

ان اليمين ، يحتضن اتجاهين : اليمين الرجعى ـ الرافض ٠٠ واليمين المتنور (أو ما يمكن تسميته بالانتلجنسيا اليمينية المستنيرة) ٠ واننا لسنا ضد اليمين ، الا اذا تحجر أو خرج عن اطار مبادىء ثورة يوليو ١٩٥٢ وثورة ١٥ مايو ١٩٧١ ٠٠ لكننا نفسح المجال أمام اليمين ، ما دام مخلصا للأرض والشعب ومعبرا عن ضرورات ما فى المرحلة التاريخية من مطامح وآمال وأحلام ٠٠ ولكننا ، لايمكننا ، أن نتصور خطا واحدا واضحا ، متناسقا ٠ ان هذا ضد الطبيعة ، وضد منطق الأشياء ٠٠ اننا لا نتصور ، لاختلاف المصالح والجذور الطبقية ، تناقضات داخل صفوف الشـعب ، ولكنها التناقضات الطيبة التى تختلف ولا تتاتل ، وفى النهاية تدفع بالمجتمع الى الأفضل ٠٠ فاطار السلام الذى نتعامل به فى حل مشاكلنا الخارجية ، والذى يحدد اطار معاملتنا فى العالم لابد وأن يكون النموذج لصراعنا فى الداخل ، ولذلك فأسلوب التضامن أو التفاعل مرفوض ٠٠ واليمين ، قـد يكون ، يمينا ذكيا ، يفهم طبيعة علاقة المرحـلة وضروراتها ومتطلباتها ، ويتجاوب مع مصالح الشعب ، ولذلك ، فهو يتحرك فى اتجـاه التيار ، ويتجاوب مع مطالب الجماهير ، تجاوبا حيا واصيلا ٠٠ ولكن اليمين ، أيضا قد يكون يمينا غبيا ، مدمرا ، يتصور ، أنه من الممكن أن يدير عجلة التاريخ وفى محاولة لادارة عجلة التاريخ الى الوراء ، يستعمل كل الأساليب ، حتى أسـلوب التآمر ، حتى أسـلوب الارهاب ، حتى أسـلوب الدم والسحل والتصفية الجسدية !! وكل ما تلجأ اليه الجماعات الاسلامية ، التى برزت فى الفترة الأخيرة ، وأخذت تعمل بنشاط ، كرد فعل على كل الانتصارات العظيمة التى حققها الشعب المصرى بقيادة القائد والمناضل ، بطلنا ٠٠ بطل السلام : الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ٠

وتصور ، أن الفكر الرجعى من الممكن أن ينتهى ويندحر ، تماما ، وبشكل حاسم وسريع ، تصور غير جدلى ٠ كما قلنا ، وأكدنا ٠ ولكن كيف نواجهه ٠٠ وكيف نحاول أن نقضى عليه ونحيط كل الأفكار المعـادية التى يقوم بها ٠٠ وبمعنى آخر ، كيف نستطيع أن نجهز على كل الأفكار المعوقة التى يقومون بها ؟ هناك اجابة على هذا السؤال ٠٠ قبل أية محاولة للاجابة ٠٠ هى القاعدة الرئيسية لانهاء هذا الخطر : الشعب الذى لابد وأن يعى مكاسبه ، ويحافظ عليها بكل ما يستطيع ٠٠ ان هذا ، هو الوسيلة الناجحة للمحافظة على منجزات المرحلة ، وهذه هى الوسيلة ، لدحض الفكر الرجعى ٠٠ وهـذا لن يتأتى الا بخلق كادر سياسى ، يكون هو كادر مايو وكادر أكتوبر ٠٠ كادر التصحيح وفيه تتمثل انسانيات وأخلاقيات وقيم انسان

المرحلة الجديدة ، الحريص على بنـــاء أرضه ، فى اطار الحب ، والنبل ، والكرامة ، والسلام ٠٠ الحريص على تفجير كل الطاقات والقدرات ، من أجل السير بمصر والمنطقة قدما للأمام٠٠ وهذا ليس بالسهل أو اليسير ٠٠

فالبناء للسلم ، أصعب ألف مرة ، من البناء للحرب ٠٠

●

الكثيرون ، حاولوا ، التعريض بانتصاراتنا ومكاسبنا ٠٠

الكثيرون ، حاولوا ، أن يصوروا ما تم على أساس انه لا شئ ، بل حاولوا أن يسيئوا الى موقف مصر ، ويتهموننا بالخيانة والعمالة ٠٠ لانهم يتسمون بالعجز ٠٠

ونحن ٠٠ حاولنا ٠٠

وهم لم يحاولوا ٠٠

ونحن سرنا ٠٠

وهم بالعجز ، تمسكوا ٠٠

لقد قال الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر :

« ان خطيئة الفعل ٠٠ خير من اللافعل ألف مرة » ٠٠

وهذا القول يصـــدق على ما فعلناه ، وعلى ما عجزوا هم أن يحركوا ساكنا من أجله ٠٠٠٠

فنحن لا نعير حرب التراشق بالكلمات ، الكثير ، فقط ، نحن نسير إلى ما فيه خير مصر ، والأمة ٠٠ بالعمل ، بالجهد ، بالايمان بالصدق ، بالنضال ٠٠ لا بالكلمات الجوفاء ٠٠ لا بالرفض ٠٠ وكما أوضحنا ٠٠ وكما أكدنا ، ونؤكد ٠٠ أن موقف الرفض ٠٠ أو تيار الرفض ، على المستوى العربى ، هو نفس موقف الرفض أو تيار الرفض داخليا ، فالذين يرفضون كامب دافيد ، أو معاهدة السلام في المنطقة ٠٠ يلتقون مع حركة ١٨ يناير المخربة ٠٠ والذين يرفضون ما توصل اليه السادات من انتصارات عظيمة من خلال مبادرة نوفمبر ٧٧ ، ومن خلال مباحثات كامب دافيد ومن خلال معاهدة السلام ، يلتقون مع الرافضين داخليا فى مصر ممن يحـــاولون أن يتهموا مصر بالخيانة والتآمر ، ويتحركون ويتآمرون على أكثر من مستوى ليخدموا المخطط الرجعى لضرب كل منجزات ومكاسب الشـــعب المصرى والعربى فى الديمقراطية والسلام ٠٠

ان « الرفض العربى » ، هو « الرفض المصرى » ، وان اختلفت الصورة ‏٠٠ جزء من الحزب الرجعى ، أو التيار الرجعى المعادى لتقدمنا ، وازدهارنا ، وتطورنا ، وسلامنا ‏٠٠

ولكن هيهات للرفض ، أن يفعل شيئا ‏٠٠ فهو عاجز ، فكريا ، وسياسيا ‏٠٠ وكل ما يحركه نزوة المال ، أو نزوة المآرب المراهقة أو الطائشة أو « عقدة الزعامة » ، أو النزعات الانتهازية والتسلقية ‏٠٠ أو الفكر الديماجوجى والفاشى ‏٠٠ وكل الأفكار الفاشية ، وكل الافكار الانتهازية والتسلقية التى سرعان ما تسقط ‏٠ فكل الانتهازيين نمور من ورق ‏٠ وراية الحق لا تسقط أبدا ‏٠٠ فالذين يدافعون عن الحرية والسلام ، لا يفقدون ايمانهم أبدا ‏٠٠ ومعركة العدالة تبدأ ولا تنتهى الا بالعدل الشامل ‏٠٠

العقبات ، الشقاء ، المرارة ، العذاب ، المعاناة ‏٠٠ عقبات فى الطريق فحسب ‏٠٠

لكنها ، أبدا ، ليست سدا أبديا ‏٠٠ العدوان ، القهر ، الضغوط ليست سدا أبديا ، لكنها ستار أسود لفترة ما ، وليست ليلا دائما ‏٠٠٠

الفارس العربى الأصيل ، سيظل حاملا سلاحه ، ورايته ، لن يستسلم ولن تفل عزيمته ، لن تعوقه الصعاب ‏٠٠ لن تؤخر فى طريقه أية عقبات ‏٠٠ أنه يسير بقوة ، ونبل ، وحكمة ، فى طريقه العظيم ‏٠٠

الفارس العربى ، لن يغمض له جفن ، حتى ينال حقوقه كلها ، ويثأر للغدر وكل ما من شأنه ان يعطل من مطامحه وأحلامه ‏٠٠ بطلنا يسير ‏٠٠ فى طريق الشمس لا يخاف العتمات والظلمات ‏٠٠ بطلنا يسير فى طريق السلام لا يخشى المارقين الأقزام ‏٠٠ فالشمس أقوى من العتمات ‏٠

والبطولة أقوى من الغدر

والقافلة تسير وتتقدم ، بينما والكلاب تعوى فى الطريق ‏٠٠

وارداة الشعب أقوى من صرخات الرفض الضعيفة الواهنة فى دهاليز السياسة العقيمة ‏٠٠

والسلام أقوى ألف مرة من فوهات المدافع ، لانه الحق ، لانه الأمل ، لأنه الحلم العادل الذى تطمح لتحقيقه كل الجماهير ، ليكون لها غدها الآمن فى الحياة ‏٠٠ وليكون لأطفالها الأمن والحياة بلا دمار أو رماد ‏٠٠

الفصل الخامس :

السادات .. بطلاً للسلام

« أن الحرب ليست بالأمر الصعب ، أمام السياسى ، أو أمام الدول ، فما أسهل أن تشعل الحرب فى لحظة من لحظات الضعف أو القوة • لكن السلام أمر صعب ، يتعلق بما أوتى به الانسان من حكمة وسعة فكر وخبرة وتجربة ورغبة فى الحب والنبل ، ومن يستعرض تاريخ البشرية خلال آلاف السنوات الماضية ، يجده عبارة عن عمليات صراع بين الحرب والسلام ، بين الدمار والبناء ، والسياسى الحق ، هو ما استطاع أن يصل الى ما يريد بأقل حفنة من الدماء • فاذا كان أمام السياسى ، أن يصل الى أهدافه السياسية والفكرية ، بالسلم ، أبطأ من الحرب ، بخمس أو عشر سنوات ، فليقبل طريق السلم ، لأنه أعظم ، وأضمن •• فطريق الحرب غير مأمون الجانب ، فهو الى جانب ، انه يحقق مطامع الانســـان بصـــعوبة ، فثمنه الدم والدمار •• »

جون برنال ــ العلامة الانجليزى الشهير

● يقول برتراندرسل ، اذا قام نزاع في العالم ٠٠ فلن يكون هناك أمام أى من الجانبين المتنازعين ، فرصة للنصر ، بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة ! فالحرب العلمية اذا أطلق لها العنان ، فأغلب الظن أنها لن تدع أحدا على قيد الحياة ، فليس امام الجنس البشرى الا أن يختار واحدا من اثنين ٠ السلم عن طريق الاتفاق ، أو السلم عن طريق الموت الشامل ٠٠ ويتفق مع رسل ، العلامة « جون برنال » ، الذى يرتبط اسمه بالسلام ٠٠ فهو يقول ٠٠ انه اذا كان من الممكن ان يصـــل الانسان الى اتفاق من خلال السلم ، حقنا للدماء ، وتجنبا للدمار ، فهذه بطولة أقوى من بطولة الوقوف فى ســاحة الحرب ٠٠ فعندما يقف القائد فى ساحة الحرب يحارب ، يقتل جزءا ، من أجل حماية جزء ، لكنهعندما يقــاتل فى اطار الســلام ، فانه يحمى الجزئين ، وتنتصر سياسته التى يكافح من أجلها ، ومن هنا تبرز بطولته وجرأته ونبله ٠٠ وغرضه البناء ، الذى يؤكد حرصه على جنسه البشرى ٠٠

وهذا القول ينطبق على قائدنا ، الذى يصل بمطامح الانسان العربى وأحلامه ويحققها عن طريق السلم ، وعن طريق التفاوض ، بدلا من سفك الدماء أو المهاترات ٠٠ ومن هنا ، يبدو نبله ، وتبدو شجاعته ، وقوته ، وفروسيته ٠٠

لقـــد كان برتراند رسل ، هو الفـارس الفكرى فى جمع العلماء المحدثين ، للتحذير بالدمار المرتقب وللتخويف من الهلاك المنــذر ، وقد شارك العلامة اينشتين وغيره من العلماء اصدار البيانات التى تحذر من هذا الهلاك المرتقب ٠٠

فقد كان الدمار فى هيروشيما ونجازاكى ، بمثابة صحوة لضمير العلم والفكر ٠ فلقد كان العلماء والمفكرون ، وفى مقدمتهم اينشتين ، رجـال السلام فيما بعد ، وهم الذين أغروا السياسيين والقادة بضرورة أنتـاج القنبلة الذرية ، ويا لها من مسئولية خطيرة واينشتين عاد بعد ذلك مع جمع من العلماء ، واصدروا بيانا شهيرا فى سنة ١٩٤٦ ، بعد انفجار القنبلتين جاء فيه : لقد قدم العلم على هذا الخطر ، ولكن المشكلة الحقيقة لا تكمن فى هذه القنبلة ، بقدر ما تكمن فى عقول الناس وقلوبهم ٠٠ وليس فى مقدورنا أن نغير ما فى قلوب الناس بطريقة آلية ، فحسبنا أن نغير ما فى قلوبنا ، وأن نتكلم بشجاعة ٠ ويجب علينا ألا نبخل على العالم بما نعرفه من قوى الطبيعة ، ولكن يجب علينا ، قبل كل هذا ، أن نضع لها الضوابط

لتأمينها ضد سوء الاستعمال ، يجب أن ندرك ، أنه محال علينا أن نخطط للحرب ، فنحفظ للسلام ما يقهر المخاوف ..

وامتدادا لهذا ، أو تأكيدا لهذا ، يقول العلامة « جون برنال » ، الذى لعب دورا بارزا فى تأكيد السلام العالمى :

« ان الحرب ليست بالامر الصعب ، أمام السياسى أو أمام الدول .. فما أسهل أن تشعل الحرب ، فى لحظة من لحظات الضعف أو القوة . لكن السلام ، امر صعب ، يتعلق بما أوتى به الانسان من حكمة وسعة فكر وصدر ، وخبرة وتجربة ورغبة فى الحب والنبل .. ومن يستعرض تاريخ البشرية خلال آلاف السنوات الماضية ، يجده عبارة ، عن عمليات صراع بين الحرب والسلام ، بين الدمار والبناء ، والسياسى الحق ، هو ما استطاع أن يصل الى ما يريد بأقل حفنة من الدماء .. فاذا كان أمام السياسى ان يصل الى أهدافه السياسية والفكرية بالسلم أبطأ ، من الحرب ، بخمس أو عشر سنوات ، فليقبل طريق السلم ، لأنه أعظم ، وأضمن .. فطريق الحرب ، غير مأمون الجانب ، فهو الى جانب انه يحقق مطامع الانسان بصعوبة ، فثمنه الدم .. والدمار » .

ومن هذا المنظور ، حاول أن ينظر بطلنا الى القضية .. اذا كان من الممكن التوصل الى أهداف ومتطلبات المرحلة ، فى اطار السلم .. فلم نخاطر بجيلنا وبالأجيال القادمة ؟ ألا تكفى حروب الثلاثين عاما ، التى أرهقت المنطقة . فكريا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا .. ؟ لقد عاش الشرق الأوسط ، أمدا طويلا ، يكابد عنت الحروب ، ودمار العصر ، ودمار النفوس .. حتى ساد الاعتقاد ، بأن السلام ضرب من المحال ، وهكذا ، رانت سحائب الظلام ، لسنوات ، حتى تفجرت الأرض العربية عن حل يخلص المنطقة من الدمار الذى أحل بها طويلا .. باتفاق السلام .. ولقد أدرك الشعب المصرى ، مأساته العميقة عام ٦٧ ، وعقد العزم فى قرارة نفسه على أن يضع لهذا الصراع حدا ، ولهذا الدمار نهاية ، وكانت حرب أكتوبر ٧٣ هى « المحاولة السيريفية » الاولى .. أو المحاولة البطولية الأولى .. من أجل انهاء الصراع ، وانهاء الدمار والخطر اللذان يحيطان ويهددان أمن المنطقة ، بين كل لحظة وأخرى ....

●

تقول الأسطورة اليونانية القديمة ، أن الآلهة ، حكمت على

« سيزيف » ، أن يصعد القمة ويدفع أمامه بصخرة ثقيله ، حتى اذا بلغ القمه ، سقطت الصخرة الى السفح ، فيعود فيرفعها من جديد ، وهكذا ... وكان سيزيف • يناجي نفسه ، وهو يدفع الصخرة أمامه : اصعد ، اصعد يا سيزيف ... فلم يعد على الوصول الى القمه أكثر من شبر ... وكان دمه يختلط بعرقه بعذابه ، وهو يصعد ، وكله أمل وصبر من أجل الوصول الى القمة ... وهذا الحكم ، أشد ألوان العذاب : مأساة .. ! ما أن يصل سيزيف الى القمة ، حتى يفاجأ بأن الصخرة الثقيلة تخونه ، وتهبط الى السفح ، فيعود من جديد ليواصل رحلة عذابه ، ومصيره . وقدره ... ...

وهذه الاسطورة ، وان كانت تعكس جانب المعاناة والعذاب ، الا أنها، أيضا ، تعكس جانب الجهاد والاصرار والبطولة من أجل استشراف القمة والوصول بالمسيرة الى أعلى ... وفى هذا تفوق على النفس ، وتجاوز لحدود الذات ... من أجل تحقيق أعظم الآمال ...

وتحضرنا هـذه الأسطورة ، ونحن نستعرض الصراع المرير الذى عاشه الانسان المصرى والعربى ، من أجـل الوصول الى القمة ... قمة ما يريد ، من أجل احلال السلام ، وانهاء الدمار ... كان يصعد يصعد ... لأن هذا قدره ومصيره ، حتى تحقق الحلم العظيم ... حلم السلام ... وكان فارس الأمـل ، ابان هـذه الرحلة العظيمة ، بطلنا المغوار ... السـادات ... ولذلك ، توجه العالم بجائزة نوبل للسـلام ... وأصبح بطل السلام ...

وبطولة السلام ، بطولة صعبة ، فهى لا تعتمد على الحرب بالمدفع ، بقدر ما تعتمد على الحكمة والصبر والأناة وجهـاد النفس والحنكة والدهاء والاصرار والارادة ...

وكل هـذه الصفات تجمعت في فارسنا العظيم .. بطـل السلام : السادات ...

وبطولة السلام ، حثت عليها كافة الأديان ، وتطلع اليها المفكرون والأدباء منذ قديم الزمان ، لـكن لم يفز بها الا أسـماء معدودة في تاريخ البشرية الطويل ...

وكانت مشكلة الانسان منذ وجد على ظهر كوكبنا ، هى الحرب ، كان يتجنبها ويخشـاها لأنه لا يريد التهلكة ، ولكن ، دائمـا ، كانت تفـرض عليه ، ويخوضها ، وتكون سببا فى دماره وتعطيله ... وعقب كل معركة كان يخوضها الانسـان ، كان المؤرخ يتسـاءل : ألم يكن هنـاك بد

من هــــده الحــرب ••• ماذا لو كان تجنبهـــا ؟ ماذا كان من الممكن أن يحدث ، لو أن ما تحقق قد تحقق باسلوب غير الحرب ؟ وقصـــه الحروب ، منذ نشات البشريه ، انما هي قصه الجنون والدمار من اجل الاستيلاء على حق الغير بالحرب ، ومن اجــــل الطموح الاجرامي الذي لايقف عند حد ، وتحكي لنا ملاحم الاغريق عن فظاعه هده الحروب ، وتقدم لنا حروب مصر القديمه بين منف وطيبه وتل العمارنه ، الكثير من هذه الفظاعات ، وقد تنبأ « اخناتون » ، منذ قديم الزمان ، بأخطار الحروب ، وحذر من دمارها ، ومما نورده من كلماته عن فظاعات الحروب ، ونزوعه الى السلام ، نتبين الى اى حد أوتى من حكمة وفطنه سبقت عصره ، وكلماته هذه التي قالها في بعض رجاله بتل العمارنة بصعيد مصر ، تلقى الضوء على الكثير من القضايا والأمور :

« واعلموا ان للحرب دمارها ، وثمنهــا الباهظ ، واعلموا أن للسلم ثمنه ، أيضا ، لكنني أختار السلم ، ان خيرت ، وعندما يكون السلم فى كفــة راجحة شريفــة •• فأنا كمسئول عن رعيتي وعن أرضى ، مسئول عن دمهم ••• لانهم وضعوا دمهم فى عنقى ••• ولذلك ، لا بد وأن أتريث ، وأختار الطريق الى الســــلام •••

ليس عن ضعف ، ولكن عن قــوة •• فاذا أمكنني أن أفرض سلامى أو سلام رعيتي على عدوى ، بمطالبى العادلة ، أصبحت أنا اكثر قوة منه ••• فالحرب تقتل النفوس ، والنبات والأرض ••• مثلما تقتل الزمن ، ولحقبة طويلة ••• وما من جماعات أو شعوب أتت عليهــا الحرب ، الا وعانت الأمرين ، من أجل استعادة نفسها أبدا ، لأنها فنيت ••• الطريق الى السلام ، صعب صعب ، بكثير من الذهاب الى ساحة الحرب ••• ومواجهة خصمك أو عدوك بمطالبك العادلة ، وفرضها بلا نيران حرب ، أقوى كثيرا من نيران الحرب ••• » •

ونفس هذه المعـــانى ، أثارها ســقراط ، عنــدما واجه أحد الخطباء المتحمسين ، وكان يستحث شباب أثينا ، ويلهب مشاعرهم من أجل الحرب والشجاعة ••• فسأله سقراط : ما الشجاعة ؟ فأجاب الخطيب المتحمس على الفور : انها الاقدام : فسأله سقراط : وماذا ترى حين لا تكون بنا حاجة الى الاقدام أو يكون من الحكمة والفطنة ، ان ينسحب الجيش من وطيس نار حامية ؟ فأحيانا تكون هذه الشجاعة مصدر دمار • ان الشجاعة ، ان تحقق ما تريده بأرخص ثمن ، وبأجرأ وأنبل وسيلة ••»

ويحضرنا في هذا المقام ، أيضا ، ذلك الحوار الذى دار بين الفيلسوف ديوجين وملك مقدونيا الاسكندر الاكبر ، سأل الاسكندر : بعد فتح أثينا ، ماذا تنوى أن تفعل ؟ فقال له أغزو فارس ! فقال له : وبعد فارس ؟ قال : أغزو مصر ! فسأله وبعد مصر ؟ قال : أستريح وأستمتع ·· فذهل ديوجين، وسأله : لم لا تستريح وتسعد الآن ؟ فضحك الاسكندر ، ساخرا ، وكان مصيره ، أنه لم يعرف طريقه للراحة ، أو للسعادة ، فقد دهمته الحمى ، وهو محموم بمطامعه فى غزو العالم ، فمات فى بابل ، دون أن يحقق لنفسه شيئا أو لأمته ، مات ذليلا ، وهو يسأل عن شربة ماء !

ونفس الحمى أصابت نابليون بونابرت ، وهو يحاول أن يحقق مطامحه في غرب أوربا وشمالها وجنوبها وشرقها ، وعاش أيامه الأخيرة ذليلا منفيا عن وطنه ، لانه لم يرض بالسلم ، وفضل الحرب ليتوسع على حساب أراضى الغير ، ولم يكتف بأراضى وطنه ، بل جر الوبال على وطنه بتلك التوسعات غير المشروعة ! وكان هتلر سبب بلاء المانيا ، وتمزقها ، ودمارها ، وكان وراء ذلك مطامحه التى يسعى لتحقيقها بالحرب والدمار··

وليس معنى ، ما نسوقه ، هنا ، من أمثلة تدمغ الحروب والدمار ، اننـا دعاة تهدئة · لا · فقد خضنا حرب أكتوبر ٧٣ ، عنـــدما كانت ضرورة لاستعادة النفس والروح والكرامة ، ولكن ما مبررنا الآن فى خوض حرب أخرى ، اذا كان من الممكن أن نحقق ما نريد فى اطار السلام ··· وحرب السلام لا تقل مشقة بأى حال من الأحوال ، كما أبرزنا من قبل ، عن معارك الجيوش ، لأن الحرب توجـد المنتصر والمهزوم ، بينمـا شروط السلام التعادل ورضى كل الأطراف والوصـول الى نقطة التقاء الأطراف المتفقة · وهذا ما حاول أن يؤكده ، باستمرار بطلنا ، وهو يواصل مسيرته نحو السلام ·· فالسلام ، هو أول ما تدعو اليه جميع الأديان ، الاسلام والمسيحية واليهودية ··· فكل من هذه الاديان يبارك السلام لأنه محبه وبناء وخير ··· فالمسيحية ، أساسها ، السلام ، وتمجد صانعى السلام ، فالمسيح عيسى بن مريم ، يقول : « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون » ، والله فى نظر المسيحية محبة وسلام ··· وكان صلب السيد المسيح ، نفسه ، وافتدائه العالم بنفسه ، قمة العمل من أجل السلام ، ومن أجل انتصار الرسالة القائمة على الحب والسلام ··· واذا رجعنا الى التاريخ الاسلامى ، لوجدنا أن الدعوة الاسلامية نشأت بين جماعة العرب المشتركين فى مكة ، ثم انتقلت الى المدينة المنورة بهجرة الرسول الكريم ، فهاجرت فيها وحواليها جماعات اليهود ، وانعقدت المعاهدة بين الرسول واليهود ، على أساس من العدل وحسن الجيرة والتعاون ··· فالاسلام يدعو

الى السلام واستثمار الحياة وشئونها الكثيرة المتشعبة فى خير الانسانية ، لا فى دمارها ، والقرآن الكريم يحث على السلم وتجنيب البشر الدم والدمار ومما جاء فى القرآن فى حث الناس على السلم :

« وقال اعتزلوكم ، فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » ٠

وأيضـــــا :

« وان جنحوا للسلم ، فاجنح لها وتوكل على الله »

وأيضـــــا :

« ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ، لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك ، كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعلمون خبيرا »

وأيضـــــا :

« يا أيهـا الذين آمنوا ، ادخلوا ، فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين »

والاسلام ، دين السـلام ، ودين العدل ، ويبـادر بالسلام دائما ، ورسالته نشر السلام والعدالة بين كل البشر ، ويدعو دائما الى التفاوض والتفاهم كأعظم أسلوب متحضر بين بنى البشر ٠٠٠

والتوراة ، فى كل تعاليمها ، تحبذ السلام ، وتحث على التآخى ، فالعـدالة ٠٠ والحب ٠٠ لا يتحققـان الا فى ظلال السـلام ٠٠ فاذا كان الخير يأتى بالدم ، فارجموه بألف حجر ٠٠ وابحثوا عن الحب حيث يباركه السلام ليكون خيرا وأملا ومحبة ٠٠٠

●

ارنست همنجواى ٠٠ الروائى الأمريكى الشهير ، الذى عاش سنوات الحرب المريرة فى أوربا ، وقاسى منها ، وشهد كيف تؤثر الحرب فى الانسان بيولوجيا ونفسـيا وروحيـا ، والذى كتب حول الحرب والعنف أكثر من رواية وقصة : « وداعا للسـلاح » ، « لمن تدق الأجراس » ، « والشمس تشرق ثانية » ٠٠ ذكر رأيه عن الحرب والعنف ، ومخاوفه من المستقبل الذى يهدد الانسان بالدمار ٠٠

في حوار له مع مراسل صحفي أمريكي جاء لزيارته في بيرو • قال همنجواي :

« اللعنة • ثم اللعنة • ثم اللعنة ، على كل ما يهدد الانسان في مصيره : في خبزه اليومي ، وخبز أطفاله •• لوفطن الانسان الى الدمار الذى يحيق ببني جنسه ، لفاق ، وأحجم عن العنف وعن الصراع من أجل الدم ، والاقبال على الدم غريزة ، وغريزة لابد أن نسلم بها ، وترتبط بها نوازع الانسان في الميل الى العنف والتحطيم والتدمير • وهذه الغريزة من مميزاته القديمة التي تعود الى العصر الحجري وعصر الغابة والحياة الأولى •• ولابد أن تكبح جماح هذه الغريزة ، ونرقيها ، ونحول نشاطها الى جهود ونشاطات متمدنة متحضرة ، من أجل خير الانسان • كفانا حروب • وكفانا دمار • لو كان الدمار الذى استخدم في الماضي لهلاك البشرية ، استخدم من أجل خيرها ، لزاد عمرنا الحضارى الآن أكثر من ألفي عام • ولاجل أن نوقف • سفك الدم هذا ، ونضع للدمار حدا ، وتوقف الحروب ، لابد ان تكون هناك أسرة دولية ، قوية ، حاسمة ، تضع قوانين السلام ، موضع التنفيذ الحاسم والشريف ، بمعنى ألا تسمح باستمرار الحروب ، ولا تسمح بسباق التسلح • لابد أن نصحوا لأنفسنا ، ونتيقظ ، ويجب أن نأخذ درسا من تجارب الحروب الطويلة • ان الحروب لا تحل بقدر ما تعقد القضايا • والحروب تهبط بمستوى البشر والأفراد الى مرحلة الغاب ، بمعنى أن البشرية لم يصبح لديها حلا غير الحرب والقتل وسفك الدماء • ينبغي أن توضع عقوبات رادعة لكل من يسعى الى الحرب • ولا سبيل لايقاف هذا الهلاك ، الا بانشاء هذه القوة والأسرة الدولية ، والتي تمثل القوى الشريفة من العالم أجمع ، وتكون لها سلطة قانونية ومنفذه ودولية • ولايتعارض هذا ، طبعا ، مع هيئة الأمم أو مجلس الأمن •• فلا سبيل لتقدم البشرية الا من خلال السلام الذى يضمن مصير البشر وأمنهم » •

وهكذا نرى ، همنجواى ، يدين الحرب وأسلوب التفاهم بالحرب ، ويندد بكل القوى التى تنزع للدمار والعنف ، ويستحث الساسة والمفكرين ، أن يعملوا من أجل السلام ، ويتخذوا من تجارب الحروب درسا عظيما •••

فلقد ملأ التعصب أذهان الشعوب ، والحكام ، سنوات طويلة ، من عمر البشرية ، وصور لهم ، أن الحرب هي الحل الوحيد لجميع مشاكلهم وقضاياهم وأزماتهم ، والمسرح الوحيد الذى تتجلى فيه بطولة الانسان ، مما أدى الى تدهور الحياة والقيم والأخلاقيات ، والروائى والكاتب الشهير مارك توين ، يصور هذا ، متكهما ، على لسان أحد المواطنين فى (دعاء جندى) ، مدمغا به قوى الشر والقهر التى باتت تستبد بالبشر ، حتى صورت لهم الحياة ٠٠ الحرب ، وجسدت لهم معانى الشجاعة والبطولة على أساس سفك الدماء والتقتيل ٠ يقول مارك توين :

« ربنا أعنا على تمزيق جنودهم بقنابلنا ، فتصير أشلاؤهم شرائح مغموسة بالدم ، واعنا اللهم على ان يغرق قصف المدافع فى طوفان من صرخات جرحاهم ، واعنا على تخريب بيوتهم باعصار فيه نار ٠٠ واعنا على تشريدهم وسط الخراب الذى نزل بهم فيهيمون على وجوههم جائعين صادين كسيرى الخاطر أذلة ٠ ورحمة بنا نحن عبادك ، أعصف اللهم بآمالهم ، واجعل حياتهم وبالا عليهم ، ومد اللهم فى رحلة عذابهم ، وأثقل خطاهم ، وأرو الطريق غرقا من دموعهم ، اللهم أجب دعاءنا ، ولك المجد اليوم والى أبد الآبدين ٠٠ أمين » ٠

كما نرى ، فى هذا النداء ، على لسان الجندى ، ادماغا كاملا لكل القيم التى اهترأت وتمزقت ، وصورت للناس الحياة على أساس أنها الحاق الدمار بالبشر ، وعلى أساس التقتيل ٠ فمارك توين يهيب بالبشرية أن تفيق من أجل أن يتوقف نزيف الدم البشرى ، ويحل السلام ، الذى يفتح الباب على مصراعيه للتقدم والرخاء ٠٠ فالى جانب ابطال الحروب ، ومحاولات التدمير ، لابد ان تنتشر القيم الخيرة لتوقف أخلاقيات الحرب والتدمير ، من أجل تقدم البشرية ٠٠ وربما كانت هذه هى الأسباب التى من أجلها ، حاولنا أن نخطو خطواتنا من أجل احلال السلام فى منطقة من أهم مناطق العالم حيوية وخطورة : منطقة الشرق الأوسط ، التى باتت وجه الصراع بين قوى الغرب والشرق ، والتى تحمل فى أعماقها الكثير من جذور وتطورات هذا الصراع على مختلف مستوياته ٠٠ وربما كانت مباحثات (سولت) ، الأولى والثانية التى جرت وتجرى بين واشنطن وموسكو ، محاولة للمشاركة فى ايقاف نزيف الحرب الذى

يهدد الجنس البشري بحرب كونية جديدة • وقد استمدت هذه المباحثات أهميتها من كونها تستهدف خفض احتمالات نشوب حرب نووية تجر البشرية الى التهلكه • وقد أبدى كارتر ، استعداده الحقيقي ، الصادق ، لتوقيع معاهدة أو اتفاق سولت ، ايمانا منه ، بأن سياسة الوفاق من الممكن أن تحقق السلام وتدعمه •• فكارتر ، حقيقة ، رجل سلام عظيم ، بذل جهوده الخلاقة والمتعاظمة ، ويبذلها بين كل وقت وآخر ، من أجل احلال السلام •• فى كل منطقة من العالم ، ايمانا منه ، بأن السلام هو الطريق الحقيقى للتقدم والوفرة والرخاء والنهوض من أجل تحقيق آمال جماهير العالم في كل مكان ، الى ما تصبو اليه من أحلام ومطامح فى مستقبل أرحب وأكثر سعادة •• بعيدا عن الدمار ونيران الحروب •• فالعالم ينفق على التسلح ١٢ ألف مليون دولار كل سنة ، فى حين ان جملة ما تحتاج اليه الدول النامية للتقدم يتراوح ما بين ٦ آلاف و ١٠ آلاف مليون دولار •• ومما لاشك فيه أن توفير مبالغ السلاح والدمار ، من الممكن أن يحل أزمة العالم الاقتصادية التى يحياها ، بالاضافة الى التورط الانساني والحضارى الذى يدفع بالبشرية الى منزلق الحرب والدمار •• فمما لاشك فيه ، أن ما تعانى منه الشعوب ، بصفة عامة ، والشعوب النامية بالذات ، هو الحروب ، التي تهدد أمنها وتقضى على آمالها وأحلام شعوبها في التقدم والتطور ، وليس هناك بلد فى العالم لم يشترك فى الحرب ان طوعا أو كرها ، فما تكاد حرب تضع أوزارها فى مكان ما فى العالم ، حتى لتبدأ حرب جديدة فى مكان آخر ، وكأنه قد كتب على هذه الأرض أن تشهد الحروب ، حربا وراء أخرى • ولقد أفزع العلماء والمفكرين، هذا ، وحاولوا أن يعبروا عن ادماغهم للحروب والدمار •• ابتداء من سقراط واخناتون •• الى اينشتين ورسل وبرنال •• فطالبوا بحلول مأمونة ، تضمن السلام للبشرية •• فالحرب كانت وما تزال تهدد البشرية •• والرغبة فى السلام • والسعى من أجله كان وما يزال حلم الانسانية التى عاشت وماتزال تعيش على أمل أن يتحقق يوما••ليحيا الناس بلا هلاك أو فتك أو دمار ••

•

التطلع الى السلام ، حلم يخايل البشر ، منذ أن وجد الانسان على الأرض •• وأقدم الأساطير ايزيس وايزوريس •• تروى وتعكس لنا ، هذا بصدق ، تعرض لنا ، كيف كان الشر سببا فى ضياع الخصوبة والنماء ، وكيف تسببت الحرب بين اله الشر واله الخير ايزوريس ، فى

تقطيع اشلاءه وجسده ، وكيف حاولت ايزيس ان تلم هذه الأشلاء ، رغبة في السلام ، وبحثا عن الخير والخصوبة والنماء ٠٠

وقد حمل « الفلاسفة الرواقيون » ، الدعوة الى السلام ، ودعوا الانسانية الى السلام والتحرر من شرور الوجود التى تدفع بالانسان للفتك بأخيه الانسان ، وربما يكون سببا لذلك ، أنهم نظروا الى الناس ، جميعا ، وكأنهم أسرة واحدة ، ونادوا بالأخلاق والقيم لتكون أعظم قانون٠ ويحضرنا ، هنا ، دعوة الفيلسوف الفارابى ، الى السلم ، فى مدينته الفاضلة ، والتى تعتبر من أعظم الدعوات للسلم ، فالفارابى يرى أن جهاد النفس ضد شرور الدمار ، وضد شهوات ونزوات التهلكة خير طريق لتحقيق السلم ٠٠ وهو يرى ان كبح جماح هذه الجماعات، أو الحكام أو الساسة ، الذين يرمون الى تحقيق مطامحهم على حساب الشعوب ، انما هو خير ضمان لاحلال السلم ٠٠ كما يرى ان السلم ، لايتحقق ، فقط ، بالسياسة الذكية ، وانما ، أيضا ، من خلال الأخلاقيات والقيم البناءة التى تبنى ٠٠ ولقد حاول الفيلسوف الألمانى «عمانويل كانت» ، أن يؤكد حكمة العقل من أجل اقرار السلام ، حينما أعلن فى كتابه الهام « مشروع للسلام الدائم » (١) ، أنه يمكن تجنب الحرب عن طريق انشاء حلف بين الشعوب ، اعتبره (كانت) ، هو السبيل الوحيد للقضاء على الحروب وقوى الدمار ٠٠ ويضع كانت لمشروعه السلامى هذا ، الذى كان مبادرة عظيمة منه قام بها ودعا اليها منذ قرابة مائتى سنة ، عدة شروط ، يلخصها فى ستة نقاط ٠٠ ويرى ان معاهدات السلام التى تتم ، لاينبغى أن يقال عنها معاهدة سلام ، لأنهى لا تنهى الحرب بشكل نهائى ، وتحمل فى طياتها احتمالات نشوب حرب جديدة ٠٠ وطالب ، « كانت » ، بالغاء الجيوش لأنها سبب البلاء ٠٠ فكانت يرى أن بقاء هذه الجيوش وتزايدها ، تهديد دائم للسلام ، فضلا عن أننا حين ندفع أجرا للجندى ، لكى يقف حياته على قتل الغير ، مع استهدافه هو لكى يقتل ٠٠ فاننا نعامل هذا الجندى معاملة (الآلة) ! ولا نعامله معاملة الكائن البشرى ، أو الانسان ! وبين المبادىء الستة لشروط السلام التى يضعها « كانت » ، أن السلطة التى تقرر الحرب يجب أن تكون صادرة عن ارادة الشعب ٠٠ وينبغى ، كما يؤكد ، كانت ، ألا تكون الحرب ، هى الطريقة الوحيدة ، أو الملجأ الوحيد للحق ، ذلك لأن النصر فى الحرب ، لايحسم بأى حال من الأحوال، مسألة الحق بشكل عادل ٠

---

(١) نشر كتاب الفيلسوف الألمانى عمانويل كانت (مشروع للسلام الدائم عام ١٧٩٠ ٠

وهكذا فطن « كانت » برجاحة عقله الى سلام البشرية وأهميته ، في ظروف مبكرة ٠ فأولا ، وضع مبدأ التفاوض للوصول الى حقوق عادلة ، وأيد هذا المبدأ على أساس أنه المنطق العادل المتحضر ، ثم أنه وضع مبادىء السلم العادل ، وحذر البشرية من قوى الحرب والدمار ، وأكد أنه لا تقدم للبشرية الا خلال السلام ٠٠ وأكد أن اللجوء الى الحرب ، ضعف وعجز ، وهروب من المنطق ، وعدم قدرة على الجدل العقلي أو المنطقي لحل المشكلة ٠٠

فالحرب نوع من الغوغائية والهمجية ، واليأس ، لأنها ترفض اخضاع القضية الى متطلبات العقل والحكمة ٠٠ انها تهبط بمستوى المشكلة من العقل الى مستوى (الخناق) البدني والجسدي ، وفي هذا تخلف ، وضعف ، وتراجع بالبشرية الى الوراء ٠٠

وقد علمنا التاريخ ، من خلال الحروب ، الطويلة ، حرب المائة عام ، والحربين العالميتين ، وحرب الثلاثين عاما ، ان نتيجة الحرب لاتكون الا خرابا ودمارا على الشعوب التي مارستها ، وقد احتاجت هذه الدول ، أو هذه الشعوب سنوات عديدة لمحو آثارها المادية والاقتصادية والنفسية ٠ ولقد كنا ، نحن ، مصر ، منذ ثلاثين عاما ، أغنى البلاد العربية ، وقد أصبحنا اليوم نمد أيدينا لمن كنا نعونهم ونساعدهم بالأمس ، وكانت الحرب أو الارتباط بوهم بقاء المشكلة معلقا ، هو سبب البلاء الأساسي لنا ، فمن الدول ، أو الحكام ، ما لايسره أن تنهض مصر وتصبح أغنى الدول في المنطقة ، ومنهم من يريدنا أن نبقى في حالة من الحوج الدائم ، ربما خشية منا ، ربما خوفا من مكانتنا ودورنا الحضاري والطليعي في المنطقة ، ونحن لم نفكر أبدا في هذا ، بقدر ما فكرنا في مصلحة شعوب المنطقة باعتبارنا نحمل عبء النضال وعبء القيادة وعبء من يحمل الراية في التقدم بآمال وأحلام المنطقة الى ما فيه خيرها ، الى ما يشفيها من أزمتها التي عانت منها الأمرين ، ولسنوات طويلة ٠٠

وكان السادات ، بحق ، خير من حمل الراية ٠٠ خير فارس للمنطقة ، مجسدا لأحلامها ومطامحها من أجل احلال السلام العادل ، الشريف ، الشامل ، في المنطقة ، من خلال مباحثات السلام ، وجهوده غير المحدودة في ايقاف نزيف الحرب في المنطقة حتى وفق الى اتفاق السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، الذي من خلاله فتح الباب على مصراعيه من أجل تدعيم متطلبات الانسان المصري والعربي ، لتغيير حياته الى الأفضل والأسمى والأرحب ٠٠ نحو مزيد من البناء ، والتقدم ، والديمقراطية ٠٠

●

فى جريدة «العروة الوثقى» ، يحكى جمال الدين الأفغانى ، أسطورة صغيرة ، لكنها ذات مغزى عميق · حكى جمال الدين الأفغاني ، أنه كان هناك هيكل عظيم فى طريق المدنية ، عندما يقبل الليل على السائرين في الطريق ، كانوا يأوون اليه ·· وفى الصباح ، كانوا يعثرون على هؤلاء الملتجئين ، قتلى بلا جـراح ، ولا أثر لاصـابة ، وأصبح الهيكل مركزا مرعبا للمدينة والذاهبين اليها · وكان لابد من وجود (أوديب) ، يتحدى (أبا الهول) ، هنا ، كما يحكى سوفوكليس فى مسرحيته الشهيرة ·· وذهب أوديب ، الآخر ، الى الهيكل ، وبات ليلة فيه ·· سمع صوتا هائلا . فلم يكترث ! ما فائدة الحيـاة ، اذا كنا نخاف ما فيهـا ؟ وما جـدوى الحيـاة اذا كنا نعيش فيها فى رعب ؟ وما قيمة الوجود ، ان كان يهـددك الخطر والقهر فى كل لحظة ؟ وانكشفت طلاسـم السر الكبير أمام الارادة القوية ·· ولم يمت أوديب الآخر ، بل حصـل على الخير الكثير ·· وظل جمال الدين الأفغانى ، عشرات الأعوام ، يحاول ، أن يخلق فى الشرق (أوديبا جديدا) يحطم أبا الهول ، يحطم مراكز القوى ، من أجل ان يستعيد مصر العظيمة ، من خلال تصحيح مسارها · وذلك من خـلال تحطيم الخوف ، والرعب ، والتلاعب بأقوات وحـريات الشعب ، وانهـاء ظروف الهزيمة والانكسار والكبوة التى كانت عائقا فى استعادة روحه وكرامته من أجل استمرار المسيرة ··

ومن ميت أبو الكوم ، الى الجمالية ، الى منقبـاد ·· الى الرئاسـة ·· الى تصحيح مصر ، وثورة ١٥ مايو ٧١ ، الى القرار والعبـور فى حرب رمضان ·· ثم الى جهود السلام ·· ومبادرة السـلام وكامب دافيـد ·· واتفاق السلام .. الى جائزة نوبل للسـلام التى تكرم جهود بطلنا من أجل احلال السلام العـادل والشامل ·· سار بطلنـا من نصر الى نصر ، لينسج المحبة والحكمة والسلام فى عمر بلادنا ، وعلى أرضنا الطيبة ··

كان الشاب الأسمر ، القمحى الملامح ، محمد أنور السادات ، فى العشرين من عمره ، فى عام ١٩٣٨ (ولد فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ بميت ابو الكوم ـ مركز تلا .. محافظة المنوفية) عندما سأل نفسه :

ـ اذا ما خيرت أن أحيا ، أن أبقى فى القـاهرة أو أعود للقرية ، لفضلت القرية .. فهى مثال للعطاء والنقاء ، بينما المدينة واسعة ، تغلى بالانتهازية والتأفق .. لو عادت مصر الى نفسها ، الى القرية البسيطة ، لتخلصت من كثير من الشرور ، ولسادت أواصر الحب والأمان والصدق أكثر ·

وفي المدرسة الحربية ، كان الطالب محمد أنور السادات ، يناقش ويحاور أصدقائه في كل الأمور التي تمر بها مصر ، وبالذات ، الأحداث السياسية ، فقد كانت الثلاثينات من السـنوات العصيبة التي مرت بمصر .. وكان السادات ، الطالب ، يتطلع الى يوم تتخلص فيه مصر من هـذه المذلة . كان يحيـا الثـلاثينات في مرارة . عاصر الأحزاب الرجعية الممالئة للسراى والاحتـلال ، والرجعيـة المحليـة ، والاستعمار ، على راسها حزب اسماعيل صدفي الذي كان يحكم مصر بالحديد والنـار والملك المتآمر على مصر بالاستناد الى الاستعمار .

في هذه الفترة ، كان السادات ، يخرج الى الشوارع والطرقات، يشترك في المظاهرات ، ويردد الشعارات التي كانت تنادي بالاستقلال وتدين الرجعية والاستعمار ، انئذ . وبعد تخرجه من المدرسة الحربية، ذهب الى (منقباد) في صعيد مصر ، وكان ذلك في عام ١٩٣٨ ، وعن هذه الفترة كتب يقول : « ١٩٣٨ . في منقباد . في هذه البيئة المصرية الخالصة ، حيث يشعر المصري ، بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه .. وفي الشتاء ، حيث يقسو الجـو ، وتتمرد العواصف ، فتزداد الروابط بين الأصدقاء ، يقاومون بها قوة الطبيعة ، وينتصرون بها على عواء الريح . هنـاك حول نار في معسكر المناورات بتباب الشريف ، كنا نقضي طرفا من كل ليلة .. أصدقاء كلهم ، صغار السن ، صغار المناصب ، كبار الآمال ، وافروا الشـباب ! ضـباط لم تزد رتبـة أحـدنا عن الملازم ثان ، نحترق طوال النهار في مناورات طويلة ، ونعـود الى الخيام في آخر اليوم .. نضيء الليل في الجبل ، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب ! وكانت في القلوب نار .. نار لا تنطفيء ، وقـود يتجدد في كل لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة . ومما يقع أمام أعيننا كل يوم من الصـباح الى المسـاء . كانت آمالنـا كبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الأحداث . فقد كنا ضباطا صغارا، وكان لنا قواد ، وكان هناك ، أيضا ، انجليز ! .. وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا ، والا الانحناء أمام الانجليز .. وكنا نرى هـذا الوضع الكريه ، فنحترق ، ونسـخط ، ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم ، وماذا يستطيع ملازم ثان ، مثلي ، أن يفعل في داخل النظام العسكري ، وفي تلك الأوضاع الرهيبة ، الا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدخن النار في حشـاه ! هكذا ، كانت أيامنا .. ولكن ليالينا ، كانت

تختلف اختلافا كبيرا ، ففي جو من الصداقة والألفة ، كنا نجلس ، فنمرح ، ويذهب هذا المرح ، شقاء اليوم الطويل ، شقاء الجسد ، وشقاء النفس ، وشقاء الغربة في جبل بعيد » .

●

كتب نهرو ، يقول .. ان أى قائد أو زعيم ، لا تصيغه أو تشكله فحسب الثقافات والأفكار والنظريات التى يتعلمها ، ولا التجارب أيضا التى يخوضها ، ربما تبدو البيئة الأولى ذات أهمية خاصة فى حياته .. وهذا يؤكد ، أثر قرية « ميت أبو الكوم » ، والبيئة الريفية الاولى فى حياة بطلنا .. فقد ولد فى بيئة خاصة ، اتسمت بملامح فريدة ، كانت هى الصورة المصغرة لمصر الأم .. كانت البداية الأولى للاحساس بأهمية السلام فى حياة الانسان .. وكانت هى النظرة الأولى لمعرفة سر الوجود فى الأمان وعدم الخوف والرهبة .. فكل مكنونات الحياة والوجود ، لا تعرف تفتحها الا فى ظل الأمان .. والعائلة المصرية ، لا تعرف السعادة ، الا من خلال الحب والتفاهم والمودة ، وهذه أعظم خصائل وقيم مصر ، التى لابد من التمسك بها ، لجعلها مبادىء الوطن التى يهتدى بها ، ولتكون الصورة ، والنموذج ، والهدف .. وما مصر الا صورة من هذه الأسرة الصغيرة .. ولذلك كان ، دائما ، يعلن ، بطلنا ، انه ليس بالحاكم أو الرئيس ، بقدر ما هو رب للأسرة المصرية ، يرعى مصالحها ويباشر شئونها من أجل التقدم بها وتحقيق السعادة لها ، وفى هذا كان يؤكد انبل واعظم مشاعر السلام والأمن ، التى تعتمد على أصل العائلة فى تطورها ، وفى تمسكها بالحب والقيم وحسن الخصال .. ولذلك ، ليس غريبا ، أن يقول عنه الكاتب الفرنسى « جاك كوبار » : « ان أنور السادات ، عطاء حقيقى لمصر ، فى كل خصالها ، فقد جاء من القرية ، يحمل الصفات والمطامح الطيبة ، وقد ترجمت هذه الخصال نفسها ، وعكست نفسها على مبادئه وأخلاقياته وأفكاره الثورية . انه نموذج للانسان المصرى ، الطيب ، الكريم ، الذى يسعى الى كل الآمال الطيبة التى تتيح لشعبه الخير والرخاء والأمن والحرية . انه ابن القرية البكر الذى انتقل الى المدينة ، وحمل معه كل ما فى القرية البسيطة من حب وأمل وعطاء » .. وعندما سجن من أجل مصر ، فى الأربعينات ، ودفاعا عن كل آمال الشعب ضد المستعمر والمحتل والسراى ، كتب يقول فى مذكراته : « تعودت ، دائما ، أن أختزن الألم فى نفسى حين أعانيه . ولقد مرت بى صنوف كثيرة من الألم . تألمت فى السجن . لأن من حبسونى ،

اتهمونى باننى أتآمر على عميل من عملاء بريطانيا ، عدو بلادى اللدود ، فعانيت ، وتحملت ، واتهمتنى رئاسة الجيش أيام فاروق ، اننى خنت عهد ملك بريطـــانيا حليف فاروق ، وقتذاك ، فطردت من الجيش ، واعتقلت ، ومرة أخرى ، عانيت واحتملت » .

وفى الأربعينات ، وفى بداية الخمسينات ، ساهم بطلنا بدور طليعى فى حركة الضباط الأحرار ، التى قامت بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بل تصـــدى لأعظم دور فيهـــا ، وبالمواجهة الجريئة ، التى كانت ربما تودى بحياته ، لولا جرأته وشجاعته ، وما أوتى به من اخلاص ثورى من أجل مصر ، فهو الذى قرأ بيان الثورة ، ونقلت الاذاعات فى العـــالم أجمع صوته وهو يتحدث باسم الثورة ، معلنا ما حدث فى مصر ، فى بيـــان الثورة التاريخى ، الذى جاء فيه : « .. اضطلع بقيادة هـذه الثورة ، لفيف من أبنـاء مصر ، عاشـوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعـدها ، مجتمعين ، تحت راية المبادىء السامية التى أعلنوها منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وقد يحدث ، بل لابد أن يحدث ، بين أفراد أية جماعة من الناس ، تباين فى زوايا النظر الى مسألة معينة أو أكثر ... » .

❁

جذبت شخصية السادات ، كثيرا من المفكرين والكتاب المعاصرين .. وعنه وحوله كتبت العديد من الكتب والدراسات ، بالعديد من اللغـات المختلفة ، والمتنوعة .. ولعل ما كتب عن السادات ، فى الفترة الأخيرة ، يفوق أى زعيم سياسى معاصر .. فهو الرجل الذى حرك وقاد العـالم نحو السلام ، بمبادرته الشجاعة بالسفر الى القـدس ، ثم من خـلال تحركاته وجهوده الشجاعة ، محليا وقوميا وعالميا ، من أجل السلام .. وليس من كاتب فذ ، فى الشرق أو الغرب ، الا وأكد ، أن السادات ، شخصية عبقرية ، مبدعة ، خلاقة ، لا نظير لها ، ولم يسبق للعرب أن قادهم زعيم مثله ، يتحلى بكل صفات الحـكمة والنبل وسعة الأفق ، والتى أوصلت مصر والعرب الى أعلى مكانة منشودة من خلال اطـار السلام .. وعلى مدار تسع سنوات ، كان الاهتمام بين الكتاب والمفكرين العـالميين يزداد لتفهم شخصية وسياسة وفكر وأيديولوجية السادات : البطل ، المنـــاضل ، المفـكر ، المنظـر .. سيزيف العصر .. أوليس السبعينات .. الذى يعلو بمصر والامة العربية الى القمة من خـــلال جهوده العبقرية على كافة المســتويات .. والبعض من هـؤلاء الكتاب والمفكرين التقى به ، والبعض أجرى حوارا طويلا معـه ، والبعض بهر

بجرأته ونبـــله وشجاعته ، وأخذ يعبر عن احســـــاسه به وتقديره بشخصيته الفذة ..

قالت مجلة (التايم) الأمريكية عن السادات :

« انه ابرز ، وأعظم القادة الذين حكموا مصر ، فهو رجل قوى ، يتميز بالحكمة ، وبعد النظر » .

وكتب الصحفى والكاتب الامريكى « ولتون وين » يقول :

« ان الرئيس السادات ، معروف فى العالم أجمع ، بأنه ، رجل الســلام والأمن ، والعالم كله ، ينظر للسادات باعتباره الزعيم القــوى المحبوب من شعبــه ، والذى نجح فى تحقيق متطلبات المرحلة ، والذى يعمل جادا لبناء مصر الحديثة ، فى أطار السلام والاستقرار ... فقد استطاع السادات ، بسياسته الحكيمة ، أن يؤكد اصراره على السلام ، ومن خلال هذا المنظور أكتسب حب العــالم كله ، بل أنه اكتسب صـــــداقة جميع الشعوب .. وقد حدث تحول كبير ، اليوم ، فى الرأى العام العالمى ، وبات ينظر الرأى العام الى مصر بتقدير عظيم ، فمصر السادات .. تؤكد السلام والاستقرار »

وعلى حد تعبير الكاتبة الامريكية « دورثى طومسون » :

« ان السادات ، رجل رزين وحكيم ، عرف بنضاله السياسى ، القديم وولائه لمصر ، والوفاء من أبرز سماته كمصرى وعربى ، وهو يحب اكثر مما يكره ، ومن الصعب أن تجد رجلا تجتمع فيه هذه المزايا ، خاصة وان كان قائدا أو زعيما » .

ويقول سلزبرجر ، عن السادات ، وهو الكاتب الشهير الذى ألف كتاب (صف طويل من الشموع) عن حياة وزعماء العالم المعاصر :

« ان الرئيس الســادات ، من الشخصيات القليلة النادرة ، التى أتيح فى عصره للوطن العربى ومن خلال حكمته وحسن رويته وذكائه النادر ، الوصول الى حلول ، أدت الى انهاء كافة الظروف الاستثنائية التى جعلت منطقــة الشرق الاوسط ، مصـــدرا للالتهاب طوال ســنوات طويلة ، فمثلمــا استطاع الســـادات أن ينهى كافة الظـروف الاستثنــــائية داخــل وطنه ، ومثلما ، استطاع ان يتجاوز بمصر والعرب ، الظروف

الصعبه ويحقق نوعا من الانتصار الواضح لكل العالم . فى أكتوبة ٧٣ ، ومثلما استطاع أن يكسب الرأى العام الاوربى ، بل والرأى العام الامريكى ، أقول انه استطاع ان يكلل جهوده بالسلام ... وهو يسعى ، جديا ، الى احلال السلام ، وبصدق ومن خلال جوهر الحقوق العربية ، لا من خلال المهاترات والمرواغة .. فهو لا يعرف التلاعب بالالفاظ ، لان السياسة من وجهة نظره هى الصدق أساسا ، مع أبناء الوطن .. ومع الأسرة الدولية ... ومع كل القيادات الدولية .. ولا سبيل فى رأيه للوصول الى أى حل من الحلول الا من خلال التزام الصدق » .

البطل ، والقائد ، والمناضل ، والمعلم الثورى ..
فارس المحبة والسلام ..
محمد أنور السادات

منذ تولى الحكم فى أكتوبر ١٩٧٠ ، وهو يعمل من أجل احلال السلام فى الشرق الأوسط . فقد أعلن فى ٤ فبراير ١٩٧١ ، استعداده ، لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ، انهاءا للنزاع العربى الاسرائيلى ، وكان هذا أول اعلان يصدر من مسئول عربى ، بالنسبة للنزاع العربى - الاسرائيلى .. وفى نفس الوقت الذى كان يدعو فيه الى السلام ، ويبذل كل ما يمكن من جهود لتحقيقه ، كان يعمل للاعداد للحرب ، فقد كان فى ذهنه ، أنهم « اذا جنحوا للسلم ، فأفضل » ، أما اذا لم يتحقق السلام العادل ، فلابد من خوض معركة قوية ، لاقرار شروط السلام ، من خلال موقع القوة لا الضعف .. فهو يريد سلاما عن عقيدة .. لا سلاما يائسا .. يريد سلاما عادلا شريفا .. لا سلاما قائما على الضعف والخنوع .. فهو فارس قوى شريف ، له خصال وشمائل الفارس المصرى العربى قوى المحتد .. لا يفاصل ، لا يساوم ، لا يزايد ، من أجل حقوق أرضه والأرض العربية .. فقط كل ما يحدوه أن يحقق السلام العادل ، ويحقن الدماء ، ويحقق العدالة على الأرض التى افتقدت لها طويلا ، نتيجة لسيطرة الحروب والدمار ، لسنوات طويلة من الصراع الذى لا يجدى ..

ويصف السناتور الامريكى «شارلز بيرس» رغبة السادات الخلصة فى السلام ، والصادقة ، بقوله :

« ان السادات حريص كل الحرص على السلام ،

وان لم يتحقق هذا السلام بكرامة ، فان الوضع يتغير ، لان السادات لا يرضى ، أبدا ، بانصاف الحلول ، ثم انه يتميز بالجرأة ، والشجاعة ، والأقدام ، ودائما يسير في طريق الحل السلمي ، والدبلوماسي ، فاذا أعياه الأمر يلجأ الى الحرب ، بعدما يقنع العالم كله ، بأن صبره قد استنفذ ، وعليه أن يحقق أماني ومطالب شعبه والمنطقة .. حقا ، السادات رجل سلام صادق » .

●

بعد سنوات طويلة من العذاب ، والمرارة ، أكد الفارس العربي أحلام ومطامح أمة ، في طريق السلام ، من أجل أن تكون الحياة أكثر محبة وبناءا وتقدما . أنهى الصراع الطويل للشرق الأوسط ، الذى الهب المنطقة وأشعلها بالحروب والاحقاد لثلاثين عاما متوالية .. وخلال تسع سنوات ، من حكمه ، تمكن من تغيير مسار مصر والأمة .. في اتجاه السلام والأمان ، بعد أن كانت سفينة المنطقة تدور في بحر الحروب والأنواء التلاطم ، تائهة ، لا مستقر لها .. وذلك من خلال اقرار السلام ، وبتتويجه جهود السلام ب (معاهدة السلام) التى وقعت في ٢٦ مارس ١٩٧٩ وفي هذا يقول ربان السفينة ، أو القائد والمعلم الثورى ، بطل السلام السادات :

« الحمد لله . لقد رست السفينة على شاطىء الخير والأمان ، وشاءت ارادة الله لها أن تنجو من كل الأعاصير والأنواء التي لها تعرضت لها خلال رحلتها التاريخية الخالدة ، وها هم الربابنة قد أكملوا مهمتهم السامية ووقعوا على المعاهدة التي ستضىء أنوار السلام العادل الشامل الدائم في هذه المنطقة ، وحققوا بذلك أمل الملايين في كل أرجاء الدنيا .. »

وهكذا ، حقق فارس المنطقة أحلامه .. أو مطامح ومتطلبات أمته في السلام ، من خلال مسيرته الصادقة ، القوية ، التي تفجرت من خلال ثورة ١٥ مايو ٧١ ، ثورة التصحيح ، وغيرت مسارات مصر السياسية والفكرية والاقتصادية ، صنع القرار ، وعبر بمصر والأمة الى شاطىء النصر في أكتوبر ٧٣ ، ثم اجتاز أعتى الأزمات من خلال الجهود الكبيرة من أجل تحقيق أعظم الآمال ، من خلال مبادرة نوفمبر ٧٧ التاريخية ، ومحادثات كامب دافيد ، التي توجت بتوقيع معاهدة السلام واقرار

السلام التسامل والعادل ، وفتح عصر جديد أمام مصر والمنطقه ، من أجل البناء والتقدم ، لتحقيق الديمقراطية والوفرة والرخاء فى اطار السلام : عصر السلام ..

ومن خلال هذه المسيرة الكبرى التى قطعها السادات ، من قرية ميت أبو الكوم .. الى مبادرة السلام وكامب دافيد واحلال السلام .. نحس أن « جائزة نوبل » كان لها شرف الانتماء الى بطلنا ، فهو يستحقها بجدارة ، مثلما هى جديرة به ..

هذا المصرى .. المناضل .. الذى جاء من قرية « ميت أبو الكوم » يحمل فى أعماقه اعظم خصـــال وانبل قيم ريفنا المصرى .. قيم وخصال الحب والسلام ، ليزرعه سنابل فى كل مكان وفى كل زمان .. فكانت مسيرته العظيمة ، التى هى وجه مصر الناصع وصــورة من تاريخ الأمة العظيم وصــورة عريقة من صــور الجهاد والنبل من أجــل السـلام .

فلتمضى مسيرة بطلنا .. فارس الامل .. الى مزيد من الحب والانتصارات .. من أجل ارساء مبادىء ثورة ١٥ مايو ٧١ وتعميقها فى الأرض العربية ، ومن أجـل أن يسود جيل أكتوبر بأخلاقيـاته وقيمه العصر ، ومن أجل أن يسود عصر مصر السلام ..

ولا يسعنى الا ان اختتم هذه الدراسة ، التى اطمح أن أكون قد وفقت فيها فى الاقتراب من شخصية بطلنا ، وبالذات ، من خـلال بعد السلام ، وجهود بطلنا من أجل احلال الأمن ، هذه القيم والخصال ، التى قدرها العالم فى شخصيته الفذه ومنحه من خلالها أعلى جائزة للسلام فى عصرنا : جائزة نوبل للسلام .. لا يسعنى الا ان اختتم هذه الدراسة ، بأن أقول اذا كانت مصر هبة النيل ، فالسادات هبة مصر ، بكل ما فيها من حب وحكمة وسماحة وذكاء وعبقرية ورغبـة فى البناء والسلام ، من أجل المشاركة فى صياغة مصير العصر والبشرية من أجل السلام .. فلتحمل الأيام القادمة أجمـل الامال وأعظم الامانى لمصر والمنطقة مع عصر السلام .. ومع مزيد من الانتصارات التى يحققها على ارضنا بطلنا .. بطل السلام ..

وثائق معاهدة السلام
بين مصر وإسرائيل

● نص معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية ، الموقعة بين مصر واسرائيل ، بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، فى واشنطن، والتى تنص على اقرار السلام العادل الشامل ، فى الشرق الاوسط ، بعد حروب دامت فى المنطقة بين العرب واسرائيل لمدة ثلاثين عاما ..

● **الديباجة :**

ان حكومة جمهورية مصر العربية ، وحكومة دولة اسرائيل ، اقتناعا ، منهما ، بالضرورة الماسة ، لاقامة سلام عادل ، وشامل ، ودائم ، فى الشرق الأوسط ، وفقا لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ، اذ تؤكدان ، من جديد ، التزامهما ، باطار السلام فى الشرق الاوسط ، المتفق عليه فى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨ .

واذ تلاحظان ، ان الاطار المشار اليه ، انما قصد به ، ان يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل فحسب ، بل ، أيضا ، بين اسرائيل وأى من جيرانها العرب كل فيما يخصه ، ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ..

ورغبة منها فى انهاء حالة الحرب بينها واقامة سلام تستطيع فيه كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن ..

واقتناعا منها ، بأن عقد « معاهدة سلام » بين مصر واسرائيل ، يعتبر خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى المنطقة والتوصل الى تسوية النزاع العربى الاسرائيلى بكافة نواحيه .. واذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى فى النزاع الى الاشتراك فى عملية السلام مع اسرائيل ، على أساس مبادىء اطار السلام المشار اليها آنفا واسترشادا بها ..

واذ ترغبان ، أيضا ، فى انماء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى التى تحكم العلاقات الدولية فى زمن السلم ..

قد اتفقنا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستها الحرة لسيادتهما من أجل تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر وأسرائيل .

المادة الأولى:

- أولا : تنتهى حالة الحرب بين الطرفين ، ويقام بينهما السلام عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة •

- ثانيا : تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) • وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء •

- ثالثا : عند اتمام الانسحاب المبدئى المنصوص عليه فى الملحق الاول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية ، وودية ، بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣) •

المادة الثانية

ان الحدود بين مصر واسرائيل ، هى الحدود الدولية ، المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو واضح بالخريطة فى الملحق الثانى • وذلك دون المساس بالوضع الخاص بغزة • ويعتبر الطرفان ، بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ، ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضى الطرف الآخر بما فى ذلك مياهه الاقليمية ومجاله الجوى ••

المادة الثالثة

- أولا : يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولى التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم ، وبصفة خاصة :

– يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى ٠

– يقر الطرفان ويحترم كل منهما الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها ٠٠

– يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدام أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وتحل كافة المنازعات التى تنشأ بالوسائل السلمية ٠

- ثانيا : يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من افعال الحرب أو الافعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل اقليمه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر ، كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر فى أى مكان ٠٠ كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبى هذه الأفعال للمحاكمة ٠

- ثالثا : يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الافراد والسلع ٠٠ كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائى بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (المرفق الثالث) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها التوصل الى اقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازى مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة ٠

المادة الرابعة

١ ـ بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا من الطرفين ، وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح في الأراضي المصرية والاسرائيلية وقوات أمم متحدة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت في الملحق الأول وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يتفق عليها الطرفان •

٢ ـ يتفق الطرفان على تمركز افراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الأول ويتفق الطرفان على أن يطلبا سحب هؤلاء الأفراد وعلى ان سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما فى ذلك التصويت الايجابى للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك •

٣ ـ تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الأول •

٤ ـ يتم بناء على طلب أحد الطرفين اعادة النظر فى ترتيبات الأمن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين •

المادة الخامسة

١ ـ تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول • كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة •

٢ ـ يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو ايقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى • كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من أجل الوصول الى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة •

المادة السادسة

١ ـ لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أى نحو يمس بحقوق والترامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة •

٢ ـ يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل او امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هذه المعاهدة •

٣ ـ كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تنطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف النى يكونان من أطرافها بما فى ذلك تقديم الأخطار المناسب للامين العام للأمم المتحدة وجهـــات الايداع الاخرى لمثل هذه الاتفاقيات •

٤ ـ يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزام يتعارض مع هـذه المعاهدة •

٥ ـ مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقص بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الاخرى بأن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى النى تكون ملزمة ونافذة •

المادة السابعة

١ ـ تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسـير هذه المعـاهدة عن طريق المفاوضة •

٢ ـ اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضـــة تحـل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم •

المادة الثامنة

يتفق الطرفان عى أنشاء لجنة تعويضات للتسوية المتبـــادلة لكافة المطالبات •

المادة التاسعة

١ ـ تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها •

٢ ـ تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ ٠

٣ ـ تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها ٠

٤ ـ يتم أخطار الامين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة ٠

حررت فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ من ثلاث نسخ باللغات العربية والانجليزية والعبرية وتعتبر جميعها متساوية الحجية وفى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الانجليزى هو الذى يعتد به ٠

الملحق الأول

تقضى المادة السادسة (فقرة ٨) من الملحق الأول بما يلى : « يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات الأمم المتحدة والمراقبون ، على أن تكون من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة » ٠

وقد اتفق الطرفان على ما يلى :

فى حالة عدم الوصول الى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الاول ، فانهما يتعهدان بقبول أو تأييد ما تقترحه الولايات المتحدة الامريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين ٠

تفسير (محضر) متفق عليه للمواد الاولى والرابعة والخامسة والسادسة وللملحق الاول لمعاهدة السلام ٠٠

المادة الأولى :

ان عودة مصر الى ممارسة السيادة الكاملة على سيناء المنصوص عليها فى الفقرة الثانية من المادة الاولى يتم بالنسبة لكل منطقة بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه المنطقة ٠

المادة الرابعة :

من المتفق عليه بين الاطراف ان تتم المراجعة المنصوص عليها في المادة (٤) عندما يطلب ذلك احد الاطراف ، وعلى ان تبدأ في خلال ثلاثة اشهر من طلبها ولكن لا يجرى اى تعديل الا باتفاق كلا الطرفين .

المادة الخامسة :

لا يجوز تفسير الجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة على انها تنتقص مما جاء بالجملة الاولى من تلك الفقرة . ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لما جاء بالجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة التى تقضى بما يلى :

« يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والمرور الجوى للوصول الى أي من البلدين من خلال مضيق تيران وخليج العقبة » .

المادة السادسة (فقرة ٢)

لا تفسر أحكام المادة السادسة بما يخالف أحكام اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب دافيد . ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لاحكام المادة السادسة (فقرة ٢) من المعاهدة التى تقضى بما يلى :

« يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو أمتناع عن فعل من جانب طرف اخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هذه المعاهدة » .

المادة السادسة (فقرة ٥)

ومن المتفق عليه بين الاطراف أنه لا يوجد أى دعاوى بأن هذه المعاهدة تسود على المعاهدات والاتفاقيات الاخرى ، أو ان المعاهدات والاتفاقيات الاخرى ، أو ان المعاهدات والاتفاقيات الاخرى تسود على هذه المعاهدة ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالفة لاحكام المادة السادسة (فقرة ٥) من هذه المعاهدة التى تنص على ما يلى :

« مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الامم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الاطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الاخرى ، فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة ».

● **خطاب متبادل بين مصر واسرائيل ، حول اجراءات الحكم الذاتي ..**

عزيزى ..

يؤكد هذا الخطاب ان كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على النحو التالى :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل أنهما قد اتفقتا فى كامب دافيد ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار لاقرار السلام فى الشرق الأوسط » ، الذى تم الاتفاق عليه فى كامب دافيد ، لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » من أجل التوصل الى اتفاق سلام شامل وفقا للاطارين المشار اليهما عاليه ، تبدأ مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزه . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا « اطار لاقرار السلام فى الشرق الاوسط » فأن المملكة الاردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك فى المفاوضات .

ويمكن ان يضم وفدا مصر والاردن فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة . أو فلسطينيين اخرين وفق ما يتفق عليه الطرفان .

وسيكون هدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجـــراء الانتخابات على ترتيبات اقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة (المجالس الادارى) . وتحديد صلاحيتها ومسئولياتها ، والاتفاق على المسائل الاخرى المرتبطة بهذا .

وفى حالة اذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك فى المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل .

وتتفق الحكومتان على ان تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء فى أقرب تاريخ ممكن من هذه المفاوضات من أجل اقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيـــق الحـــكم الذاتى الكامل للسكان .

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفاللانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد حتى يمكن اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الأطراف قد توصلوا الى اتفاق ، وتنشأ سلطة الحكم الذاتى المشار اليها فى اطار اقرار السلام فى الشرق الأوسط . وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، وتبدأ وقتئذ فترة السنوات الخمس الانتقالية وتنسحب الحكومة العسكرية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها كما هو محدد فى الاطار

لاقرار السلام فى الشرق الأوسط • ويتسم حينذاك انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية ويجرى اعادة توزيع القوات الاسرائيلية الباقية فى مواقع أمن محددة ••

ويؤكد هذا الخطاب ، أيضا ، مفهومنا ، بأن حكومة الولايات المتحدة ، ستشترك اشتراكا كاملا فى كافة مراحل المفاوضات •

محمد أنور السادات
مناحم بيجين

الملحق رقم ٣ :

« بروتوكول بشأن علاقات الطرفين » :

مادة (١) : العلاقات الدبلوماسية والقنصلية :

يتفق الطرفان ، على اقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية وتبادل السفراء عقب الانسحاب المبدئى •

مادة (٢) : العلاقات الاقتصادية والتجارية :

١ ـ يتفق الطرفان على ازالة جميع الحوافز ذات الطابع التمييزى القائمة فى وجه العلاقات الاقتصادية العادية وانهاء المقاطعات الاقتصادية لأى منهما ، وذلك عقب اتمام الانسحاب المبدئى •

٢ ـ يدخل الطرفان فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المبدئى ، وذلك بغية عقد اتفاق تجارة يستهدف انماء العلاقات الاقتصادية ذات النفع المتبادل بينهما •

مادة (٣) : العلاقات الثقافية :

١ ـ يتفق الطرفان على اقامة علاقات ثقافية عادية بعد اتمام الانسحاب المبدئى •

٢ ـ يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافى فى كافة الميادين ، أمر مرغوب فيه ، وعلى أن يدخلا فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المبدئى بغية عقد اتفاق ثقافى •

مادة (٤) : حرية التنقل :

١ ـ عقب الانسحاب المبدئى · يسمح كل طرف لمواطنى وسيارات الطرف الآخر بحرية الانتقال الى اقليمه والتنقل داخله وذلك طبقا للقواعد العامة التى تطبق على مواطنى وسيارات الدول الأخرى ·

ويمتنع كل طرف عن فرض قيود ذات طابع تمييزى على حرية تنتقل الأشخاص والسيارات من اقليمه الى اقليم الطرف الآخر ·

٢ ـ كما يسمح بالدخول دون اعاقة الى الأماكن ذات القيمة الدينية والتاريخية وذلك على أساس تبادلى وغير ذى طابع تمييزى ·

مادة (٥) : التعاون فى سبيل التنمية وحسن الجوار :

١ ـ يقر الطرفان أن هنـاك مصلحة متبادلة فى قيام علاقات حسن الجوار ويتفقان على النظر فى سبل تنمية تلك العلاقات ·

٢ ـ يتعاون الطرفان فى انماء السـلام والاستقرار والتنمية فى المنطقة ، ويوافق كل منهما على النظر فى المقترحات التى قد يرى الطرف الآخر التقدم بها تحقيقا لهذا الغرض ·

٣ ـ يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية للطرف الآخر ·

مادة (٦) : النقل والمواصلات :

١ ـ يقر الطرفان بأن الحقوق والمزايا والالتزامات المنصوص عليها فى اتفاقات الطيران التى يكونان من أطرافها تنطبق على كل منهما · وبصفة خاصة الواردة فى الاتفاقية الدولية للطيران بشأن خدمات النقل الجوى المعقودة فى سنة ١٩٤٤ ·

٢ ـ عقب اتمام الانسحاب المبدئى لا ينطبق أى اعلان لحالة الطوارىء الوطنية الذى يعلنه أحد الطرفين وفقا للمادة ٨٩ من اتفاقية شيكاجو فى مواجهة الطرف الآخر على أساس تمييزى ·

٣ ـ توافق مصر على أن المطارات الواقعة بالقرب من العريش ورفح وراس النقب وشرم الشيخ التى سوف تخليها اسرائيل يكون استخدامها للأغراض المدنية فحسب بما فى ذلك امكان استخدامها تجـاريا بواسطة كافة الدول ·

٤ ـ يدخل الطرفان فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المبدئى وذلك لغرض ابرام اتفاق طيران مدنى ٠

٥ ـ يقوم الطرفان باعادة فتح الطرق وخطوط السكك الحديدية بين بلديهما وصيانتها ، كما ينظران فى اقامة طرق وسكك حديدية اضافية ٠ كما يتفق الطرفان أيضا على اقامة وصيانة طريق برى بين مصر واسرائيل والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة مرور الأشخاص والسيارات والبضائع ، بين مصر والأردن ، وذلك على نحو لا يمس بالسيادة على الجزء من الطريق الذى يقع داخل اقليم كل منهما ٠

٦ ـ عقب اتمام الانسحاب المبدئى تقام بين الطرفين وسائل اتصالات بريدية وتليفونية وتلكس ومواصلات سلكية ولاسلكية وخدمات نقل الارسال التليفزيونى عن طريق الكابلات والراديو والأقمار الصناعية ٠ وذلك وفقا للاتفاقيات واللوائح الدولية المطبقة ٠

٧ ـ عقب اتمام الانسحاب المبدئى ، يسمح كل طرف بالدخول المسموح به عادة موانيه لسفن وبضائع الطرف الآخر ٠

وكذلك للسفن والبضائع المتجهة الى الطرف الآخر أو القادمة منه بنفس الشروط المطبقة بصفة عامة على سفن وبضائع الدول الأخرى ٠

وسوف يبدأ تنفيذ حكم المادة (٥) من معاهدة السلام عقب تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ٠

مادة (٧) : التمتع بحقوق الانسان :

يؤكد الطرفان التزامهما باحترام ومراعاة حقوق الانسان والحريات الأساسية للجميع ٠ وسوف يدعمان هذه الحقوق والحريات وفقا لميثاق الأمم المتحدة ٠

مادة (٨) : المياه الاقليمية :

مع مراعاة المادة (٥) من معاهدة السلام ، يقر كل طرف بحق سفن الطرف الآخر فى المرور البرى فى مياهه الاقليمية طبقا لقواعد القانون الدولى ٠

محضر متفق عليه خاص بالملحق الثالث •

تنص معاهدة السلام والملحق الثالث لها على اقامة علاقات اقتصادية طبيعية بين الأطراف ، ووفقا لهذا فقد اتفق على أن هذه العلاقات سوف تشمل مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر الى اسرائيل ، وأن يكون من حق اسرائيل الكامل التقدم بعطاءات لشراء البترول المصرى الأصـــل والذى لا تحتاجه مصر لاستهلاكها المحلى ، وأن تنظر مصر والشركات التى لها حق استثمار بترولها فى العطاءات المقدمة من اسرائيل بنفس الاسس والشروط المطبقة على مقدمى العطاءت الآخرين لهذا البترول •••

الملحـــق العســـكرى :

المادة (١) : الانسحاب واجراءات الأمن :

أولا : تنهى اسرائيل سحب كل قواتها المسلحة وكـــل المدنيين من سيناء قبل ثلاث سنوات اعتبارا من موعد تبادل وثائق التصديق على هذه المعــــاهدة •

ثانيا : ضــــمانا للأمن المتبادل للجانبين ستواكب تنفيذ مرحـــلة الانسحاب اجراءات عسكرية واقامة مناطق بالصورة المحددة فى هذا الملحق

ثالثا : يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلى الى الخط الممتد شرق العريش •• رأس محمد وفقا للرسم المبين/فى الخريطة رقم ٢/١•

وينتهى هذا الانسحاب خلال الأشهر التسعة التالية لموعد تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة •

(ب) يتم الانسحاب النهائى من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية خـــلال ثلاث سنوات اعتبارا من موعد تبادل وثائق التصـــديق على هذه المعـــاهدة •

رابعا : يتم تشكيل لجنة مشتركة فور تبادل وسائل التصديق على هذه المعاهدة تكون مهمتها الاشراف وتنسيق التحركات والجداول خـــلال عمليات الانسحاب • وتعديل الخطط والجداول الزمنية كما تتطلب الضرورة وفى الحدود التى تنص عليها الفقرة (٣) السابق ذكرها •

وتحدد المادة (٤) من الملحق الاضـــافى المرفق التفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة •

وسوف يتم حل اللجنة المشتركة فور استكمال الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء .

المادة ٢ :

تحديد الخطوط النهائية والمناطق .

١ ـ من أجل منح الطرفين أقصى قدر من الأمن بعد الانسحاب النهائى ، يتم انشاء وتنظيم الخطوط والمناطق المبينة على الخريطة وفقا للتالى:

١ ـ المنطقة (أ) يحدها من الشرق الخط (أ) (الخط الأحمر) ومن الغرب الساحلى الشرقى لخليج السويس كما هو مبين فى الخريطة (أ) المتفق عليها فى المعاهدة ..

٢ ـ تتواجد فى هذه المنطقة فرقة مصرية من جنود المشاه الميكانيكية وأجهزتها العسكرية وتحصينات الميدان .

٣ ـ ستتكون العناصر الأساسية للفرقة من :

أ ـ ٣ ألوية مشاه ميكانيكية .

(ب) لـواء مدرع .

(ج) ٧ كتائب مدفعية ميدانية تضم ١٢٦ قطعة مدفعية .

(د) ٧ كتائب مدفعية مضادة للطائرات تضم صواريخ أرض ـ جو فردية وما يصل الى ١٢٦ مدفعا مضادا للطائرات عيار ٣٧مم .

(هـ) عدد يصل الى ٢٣٠ دبابة .

(و) عدد يصل الى ٤٨٠ عربة مدرعة من جميع الأنواع .

(ز) عدد يصل اجماليا الى ١٣٢ ألف فرد .

(ب) المنطقة (ب) .

١ ـ المنطقة (ب) يحـدها الخط (ب) (الخط الأخضر) من الشرق والخط (أ) (الخط الأحمر) من الغرب كما هو موضح فى الخريطة (أ) .

٢ ـ تتولى وحدات حـدود مصرية تتكون من ٤ كتائب مزودة بالأسلحة الخفيفة والعربات مسئولية الأمن واستكمال مهمة البوليس المدنى فى حفظ النظام فى المنطقة (ب) .

وتتكون العناصر الأساسية لكتائب الحدود الأربع من عدد يصـل اجماليا الى ٤ آلاف فرد .

٣ - وقد تنشأ على ساحل هذه المنطقة نقاط انذار ساحلية متمركزة ارضا وذات مدى قصـــير وقدرة نيرانية محدودة من وحـــدات دوريات الحـــدود •

٤ - يتم تزويد البوليس المدنى المصرى بطائرات هليكـوبتر غـير مسلحة للقيام بوظائف البوليس الطبيعية فى المنطقة (ج) •

٥ - يتم انشاء مطارات مدنية فقط فى المناطق •

٦ - سيسمح بدون الحاق الضرر ببنود هذه المعاهدة بممارسة هذه الانشطة الجوية العسكرية وبالتحديد الانشطة المسموح بها فى هذا الملحق فى المناطق والمجال الجوى فوق مياهها الاقليمية •

المـــادة (٤)

النظام البحرى

١ - بامكان مصر واسرائيل وضع وتشغيل سـفن بحرية على طول سواحل المنطقتين (أ) ، (د) •

٢ - يتم وضع زوارق خفر سواحل مصرية مسلحة تسليحا خفيفا وتشغيلها فى المياه الاقليمية بالمنطقة (ب) لمساعدة وحدات الحدود فى تأدية وظيفتها فى هذه المنطقة •

٣ - سيقوم البوليس المدنى المصرى المجهز بالزوارق الخفيفةوالاسلحة الخفيفة بتأدية وظائف البوليس الطبيعية فى المياه الاقليمية للمنطقة (ج) •

٤ - لا شيء فى هذا الملحق سوف يعتبر انتقاصا من حق المرور البرى للسفن البحرية لكلا الطرفين •

٥ - يجرى انشاء موانى بحرية مدنية فقط ومنشآت فى هـــذه المناطق •

٦ - سيسمح بهذه الانشطة البحرية فقط ودون الحاق الضرر ببنود المعاهدة •

المـــادة (٥)

أجهزة الانذار المبكر

بامكان مصر واسرائيل انشاء وتشـغيل اجهزة للانذار المبكر فى المنطقتين (أ) و (د) •

المــادة (٦)

عمليات الآمم المتحدة

١ ـ ستطلب الاطراف الى الأمم المتحدة تزويدها بالقوات والمراقبين للاشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل افضل جهودها لمنع أى خرق لبنوده ٠

٢ ـ فيما يتعلق بقوات الأمم المتحدة والمراقبين وافقت الاطراف على طلب الترتيبات التالية :

١ ـ تشغيل نقاط التفتيش ودوريات الاستطلاع ومراكز المراقبة على طول الحدود الدولية وخط (ب) وداخل (ج) ٠

(ب) التحقق الدورى من تنفيذ بنود هذا الملحق سيتم ليس أقل من مرتين شهريا الا اذا اتفقت الأطراف على غير ذلك ٠

(ج) اجراء تحقيق اضافى فى خلال ٤٨ ساعة بعد استلام طلب بذلك من أى الطرفين ٠

(د) ضمان حرية الملاحة خلال ممر تيران طبقـا للمادة (٥) من المعـــاهدة ٠

٣ ـ تشرف قوات الأمم المتحدة على تنفيذ الترتيبات المنصوص عليها فى هذه المادة فى المناطق (أ ، ب ، جـ) ويشرف مراقبوا الأمم المتحدة على تنفيذها فى المنطقة (د) ٠

٤ ـ سيصحب ضباط اتصال من كلا الطرفين فرق التحقيق التابعة للأمم المتحدة ٠

٥ ـ تقدم قوات الأمم المتحدة ومراقبوها تقارير عن نتائج مهمتها لكلا الطرفين ٠

٦ ـ تتمتع قوات الأمم المتحـــدة ومراقبوها العاملون فى المناطق بحرية الحركة وغيرها من التسهيلات الضرورية لأداء مهامها ٠

٧ ـ ليس لقوات الأمم المتحدة ومراقبوها سلطة اصدار تراخيص لعبور الحدود الدولية ٠

سيتفق الطرفان على الدول التى سيتم منها تشكيل قوات الأمم المتحدة ومراقبوها ٠ وسيتم تشكيل هذه القوات من دول أخرى غير الدول الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ٠

٩ ـ يتفق الطرفان على ضرورة أن تقوم الأمم المتحدة باتخاذ هــذه الترتيبات بأفضل وسيلة تضمن التنفيذ الفعال لمستوياتها •

المـادة (٧)

نظـام الاتصـال

١ ـ فور حـل اللجنة المشتركة ، يتم انشاء نظام اتصـال بين الأطراف • ويقصد بنظام الاتصال توفير وسيلة فعالة لتقييم التقدم فى تنفيذ الالتزامات المنصوص عليها فى هذا الملحق وحـل أية مشاكل يمكن أن تبرز خلال عملية التنفيذ والرجوع فى القضايا الاخـرى التى لا يمكن حلها الى السلطات العسكرية الأعلى فى كلا الدولتين تباعا للنظر فيها •

وكذلك يقصد بنظام الاتصال تجنب المواقف الناجمة عن أخطاء سوء التفسير من جانب أى من الطرفين •

٢ ـ سيتم انشاء مكتب اتصال مصرى فى مدينة العريش ، ومكتب إتصال اسرائيلى فى مدينة بير سبع • ويرأس كل مكتب ضابط من الدول المعينة ويساعده عدد من الضباط •

٣ ـ سيتم انشـاء خط تليفونى مباشر بين المكتبين كذلك سيتم انشاء خطوط تليفونية مباشرة بين المكتبين وقيادة قوات الأمم المتحدة •

المـادة (٨)

احترام النصب التذكارية

لضحايا الحرب •

المـادة (٩)

الترتيبات المؤقتـة

انسحاب القوات المسـلحة الاسرائيلية والمدنية والاسرائيليين الى ما وراء خط الانسحاب المؤقت وتحرك قوات الطرفين وقوات الأمم المتحدة قبل الانسـحاب النهـائى ستجدد وفق الملحق الاضـافى المرفـق والخريطة (٢) •

تنظيم التحركات فى سيناء :

● **المادة الأولى :**

المبادىء المتعلقة بالانسحاب .

١ ـ سيتم انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء على مرحلتين كما ورد نصها فى المادة الأولى فى الملحــق الأول ووصف وتوقيت عمليــات الانسحاب متضمنه فى هذا الملحق وسوف تضع اللجنة المشتركة المزيد من التفاصيل وستقدم للمنسق العام لقوات الأمم المتحدة فى الشرق الأوسط فى وقت لا يزيد عن شهر قبل بدء كل مرحلة من مراحل الانسحاب .

ويتفق الطرفان على المبادىء الآتية فيما يختص بتسلسل التحركات العسكرية :

(أ) وفيما يختص بما نص عليه الملحق الأول ، الفقرة الثانية من هذه المعاهدة ، وحتى يتم الانسحاب الكامل للقوات العسكرية الاسرائيلية .. وحتى يتم الانسحاب المؤقت فان جميع الترتيبات العسكرية القائمة وفقا لهذا الأتفاق ، ستبقى نافذة المفعول ، فيمــا عدا تلك الترتيبات العسكرية التى تنص على غير ذلك فى المادة الحادية عشرة من الملحق .

(ب) وفى الوقت الذى يتم فيه انسحاب القوات الاسرائيلية فان قوات الأمم المتحدة ستدخل فورا المناطق التى سيتم اخلاؤها وذلك لانشاء مناطق عازلة انتقالية كما هو مبين فى الخريطة ٢ ، ٣ بهدف المحافظة على الفصل بين القوات .

ويسبق أى تحرك لأى أفراد آخرين الى هذه المناطق اعادة انتشار قوات الامم المتحدة الى هذه المناطق .

(جـ) وبعد سبعة أيام من جلاء القوات الاسرائيلية من كل منطقة تقع فى المنطقة (أ) .. تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية المذكورة فى المادة الثانية من هذا الملحق .. حتى الخط (أ) أو حتى المنطقة العازلة المؤقتة كما تبدو فى الخريطة رقم ٢ .

(د) وبعد فترة سبعة أيام من جلاء القوات الاسرائيلية من كل منطقة تقع فى المنطقة (ب) تنتشر وحدات الحدود المصرية المذكورة فى المادة ٢ من هذا الملحق حتى المنطقة العازلة كما تظهر فى الخريطة ٢ وتعمل وحدات الحدود الحدود وفقا لبنود المادة ٢ من الملحق ..

(هـ) ستدخل قوات البوليس المصرى الى المناطق التى سيتم الجلاء عنها فور انسحاب قوات الامم المتحدة حيث تقوم قوات البوليس بأداء مهامها العادية •

(و) ستنتشر وحدات القوات البحرية المصرية في خليج السويس طبقا لنصوص المادة ٢ فى هذا الملحق •

(ز) وفيما عدا مراحل الانسحاب الاسرائيلى التى تم وصفها آنفا فان انتشار القوات المسلحة المصرية وأوجه النشاط التى تم النص عليها فى الملحق الاول سيتم عندما تكون القوات العسكرية الاسرائيلية قد اتمت انسحابها الى خلف خط الانسحاب المؤقت •

● **المادة ٢ : المراحل اللاحقة للانسحاب •**

وتقترح مصر توضيح تفاصيل المراحل اللاحقة والتوقيت اللازم فى هذه المادة •

● **المادة الثالثة :**

قوات الأمم المتحدة

١ ـ سيطلب الطرفان أن تنتشر قوات الأمم المتحدة وفقا للمهام التى تم وصفها فى هذا الملحق والى حين اتمـام عملية الانسحاب الاسرائيلى الكامل •

وتحقيقا لهذا الهدف فان الطرفين يتفقان على اعادة انتشـار قوا الطوارىء الدولية •

٢ ـ وستتولى قوات الأمم المتحدة الاشراف على تنفيذ الملحق وتبذل أفضل المجهودات لتفادى أى خرق لنصوص الملحق •

٣ ـ عندما تنتشر قوات الأمم المتحدة وفقا لنصوص المادة ١ ، ٢ لهذا الملحق ، فسوف تتولى مهام التفتيش فى المناطق المحدودة للقوات وفقا للمادة للمادة ٦ من الملحق الأول وسوف تنشىء نقاط التفتيش ودوريات استطلاع ومراكز مراقبة فى المناطق العازلة المؤقتة ، التى ورد وصفها فى المادة السابقة اما المهام الاخرى لقوات الأمم المتحدة المتعلقة بالمنـاطق العازلة المؤقتة فقد ورد شرحها فى المادة الخامسة لهذا الملحق •

● المادة الرابعة :

اللجنة المشتركة ومكاتب الاتصال

١ ـ وستعمل اللجنة المشتركة التى تم الاشارة اليها في المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل التصديق على وثائق هذه المعاهدة ومن تاريخ اتمام الانسحاب النهائى للقوات الاسرائيلية من سيناء ٠

٢ ـ وستشكل اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف يرأسها مسئول كبير ـ وستدعو اللجنة المشتركة ممثلا عن الأمم المتحدة عندما تناقش موضوعات متعلقة بها ، أو عندما يطلب أى من الطرفين حضور الأمم المتحدة وستتوصل اللجنة المشتركة الى قراراتها بالاتفاق بين مصر واسرائيل ٠

٣ ـ تتولى اللجنة المشتركة الاشراف على تنفيذ الترتيبات التى أوردها الملحق الأول وهذا الملحق الاضافى ٠

وتنفيذا لهذا الهدف ـ وبموافقة الطرفين ـ فان اللجنة تقوم بـ

(أ) تنسيق التحركات العسكرية كما أوردها هذا الملحق الاضافى والاشراف على تنفيذها ٠

(ب) التصدى والسعى الى حل أية مشكلة تنشأ خلال تنفيذ هذا الملحق الأول ، وهذا الملحق الاضافى ، وبحث أى انتهاك تبلغ به قوة الأمم المتحدة والمراقبون ، واحالة أية مشكلة لا يتم حلها الى حكومتى مصر واسرائيل ٠

(ج) تعاون اللجنة قوات ومراقبى الأمم المتحدة فى تنفيذ المهام المنوطة ٠ كما تتكفل بالجدول الزمنى لعمليات الاشراف المرحلية عندما يدعوها الطرفان لتطبيق الملحق رقم ٩ والملحق الحالى ٠

(د) تقوم اللجنة بتنظيم الخط الفاصل للحدود الدولية ولجميع الخطوط المذكورة فى الملحق أو الملحق الحالى ٠

(هـ) تشرف على عملية تسليم اسرائيل للمنشآت الرئيسية فى سيناء الى مصر ٠

(و) تعد الترتيبات التى يتعين القيام بها للبحث عن جثث الجنود المصريين والاسرائيليين المفقودة واعادتها ٠

(ذ) تنظيم عملية اقامة وتشغيل نقاط المراقبة على خط العريش - رأس محمد ، تطبيقا لبنود المادة الرابعة من الملحق رقم ٣ •

(ع) تقوم بعملياتها بالاستعانة بفرق اتصال مشتركة تتـكون من مندوب اسرائيلي واخر مصرى يتم استدعاؤهما من مجموعة الاتصال الدائمة وتقوم بنشاطه بناء على تعليمات من اللجنة المشتركة •

(ط) تقوم بتأمين عمليات الاتصال والتنسيق والتعاون بنود المعاهدة وتشرف عن طريق فرق الاتصال المشتركة ·· على عمليات التنسـيق والتعاون المحلية مع قوات الأمم المتحدة المرابطة فى مناطق محددة أو مع مراقبى الأمم المتحدة العاملة فى مناطق محددة •

(ى) تناقش اللجنة أى مسألة أخرى قد يعرضها عليها الطرفان بناء على اتفاق مشترك •

٤ - تعقد اللجنة المشتركة اجتماعا كل شهر على الاقل - كما تعقـد اجتماعا خاصا خلال ٢٤ ساعة فى حالة طلب أى من الاطراف أو من قيادة الأمم المتحدة •

٥ - تلتقى اللجنة المشتركة فى المنطقة العازلة حتى نهاية الانسحاب المرحلى ، ثم بعد ذلك تلتقى على التوالى فى كل من العريش وبئر سبع ·· وينعقد الاجتماع الاول بعد بدء دخول المعاهدة حيز التنفيذ بأكثر من أسبوعين •

● **المادة الخامسة :**

تحديد المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها

١ - المنطقة العازلة المؤقتة - والتى ستنفذ بها قوة الأمم المتحدة الفصل بين الافراد المصرين والاسرائيليين - ستقام الى الغرب - وبشكل متاخم - لخط الانسحاب المؤقت كما تبينه الخريطة رقم (٢) ، بعد تنفيذ الانسحاب الاسرائلى والانتشار خلف الانسحاب المؤقت • ويتولى البوليس المدنى المصرى - المزود خلف الانسحاب المؤقت - ويتولى البوليس المدنى المصرى - المزود بأسلحة خفيفة - مهام الأمن العادية داخل المنطقة •

٢ - تتولى قوة الأمم المتحدة ادارة نقاط تفتيش ودوريات استطلاع ومراكز مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة لضمان الالتزام ببنود هذه المادة •

● المادة السادسة :

التصرف فى المنشآت والمعدات الدفاعية العسكرية

يقرر الطرفان اعداد المنشأت والمعدات الدفاعية العسكرية حسب المبادىء التالية ..

١ ـ حتى قبل ثلاثة أسابيع من الانسحاب الاسرائيلى من منطقة ما تنظم اللجنة المشتركة عملية تفتيش مشتركة تقوم بها فرق اسرائيلية ومصرية لجميع المنشأت الخاصة للخروج باتفاق حول شروط واجراءات نقل مختلف المبانى والمعدات التى ستسلم الى مصر بهدف تسوية هذه العملية .. وستعلن اسرائيل فى تلك اللحظة عن خططها للتصرف فى المنشأت والمعدات الموجودة بها .

٢ ـ تتعهد اسرائيل بأن تسلم لمصر جميع المنشأت الأرضية سليمة وكذلك مشروعات الخدمات العامة والمنشأت .. وخاصة المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانى كما تزود اسرائيل مصر بالمعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل معدات الخدمة العامة وسوف يسمح لبعض الفرق المصرية بالتعرف على استعمال هذه المعدات لفترة قد تصل الى اسبوعين قبل عملية تسلم مصر لها .

٣ ـ عندما تتخلى اسرائيل عن نقاط مصادر المياه ذات الفائدة العسكرية بالقرب من العريش والطور .. تقوم فرق فنية مصرية بالاشراف على هذه المنشآت والمعدات التى سيأخذونها وفقا لعملية نقل تعدها مسبقا اللجنة المشتركة .. وتقوم مصر بالاستمرار فى تأمين تموين جميع نقاط المياه بالكمية العادية من المياه وحتى لحظة انسحاب اسرائيل الأخير خلف الحدود الدولية .. الا اذا اتخذت اللجنة المشتركة اجراءات اخرى ..

٤ ـ تبذل اسرائيل قصارى جهدها لازالة أو تدمير جميع الاستحكامات الدفاعية بما فيها الحواجز وحقول الالغام فى المناطق والمياه مع رسم الحدود التى تنسحب منها قواتها ..

وتراعى اسرائيل فى ذلك المبادىء التالية ..

(أ) تزال الاستحكامات الدفاعية أولا من المناطق الواقعة بالقرب من المستوطنات والطرق والمنشأت العامة ومشروعات الخدمات الهامة .

(ب) فيما يتعلق بالحواجز وحقول الالغام التى يستحيل ازالتها أو

تدميرها قبل الانسحاب الاسرائيلى تقوم اسرائيل بتزويد مصر والأمم المتحدة بالخرائط المفصلة التى تسلم على أكثر تقدير قبل وصول قوات الأمم المتحدة بخمسة عشر يوما ٠٠ وذلك عن طريق اللجنة المشتركة ٠

(هـ) يصل سلاح المهندسين المصرى الى كل هذه المناطق بعد قوات الأمم المتحدة للقيام بعملياته فيها وفقا للخطط التى حددتها مصر ٠

● **المادة السابعة :**

اعمال الاستطلاع :

١ ـ تنفذ أعمال الاستطلاع الجوى خلال الانسحاب كما يلى :

(أ) يطلب كلا الجانبين من الولايات المتحدة ان تواصل طلعات الاستطلاع الجوى ، وفقا للاتفاقات السابقة حتى اكتمال الانسحاب الاسرائيلى النهائى ٠٠

(ب) الصور الجوية ستعطى مواقع القوات المحددة لمراقبة حجم القوات والاسلحة ولاثبات انسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق التى حددتها المادة الثانية من الملحق الاول والمادة الثانية من هذا الملحق الاضافى والخريطتان رقما ٢ ، ٣ وان هذه القوات تمركزت خلف خطوطها ٠

(ج) سيتم فقط الابلاغ عن العناصر الرئيسية فى التنظيمات العسكرية لكلا الجانبين كما تحددت فى الملحق الأول ، وهذا الملحق الاضافى ٠

٢ ـ يطلب كلا الجانبين ، أن تواصل البعثة الميدانية التابعة للولايات المتحدة فى سيناء عملياتها ، وفقا للاتفاقات السابقة حتى يتم الانسحاب الاسرائيلى من المنطقة الواقعة شرقى ممرى الجدى ومتلا ، وبعد ذلك ، ينتهى عمل البعثة ٠٠

البند الثامن ٠٠ ممارسة السيادة المصرية

تستعيد مصر ممارسة سيادتها الكاملة ، على الأجزاء المحتلة من سيناء ، بعد الانسحاب الاسرائيلى ، كما تنص على ذلك المادة الاولى من هذه المعاهدة ٠



● الرئيس المؤمن محمد أنور الســادات ، يتحدث ، فى بساطة ، وعمق ، وأصالة .. فيعكس بساطة وعمق وأصالة مصر ، فى حكمتها ، وفي سعيها الدائم من أجل الســلام



● الرئيس السادات ، يدلى بحديث هام لتليفزيون القاهرة .. حديث من القلب ، عن صباه ، وشبابه ، وحياته ، ويعكس جانبا أساسيا من حياته التى بدأت من قرية ميت أبو الكوم ، وسارت الى خير آمال مصر والعرب والعالم



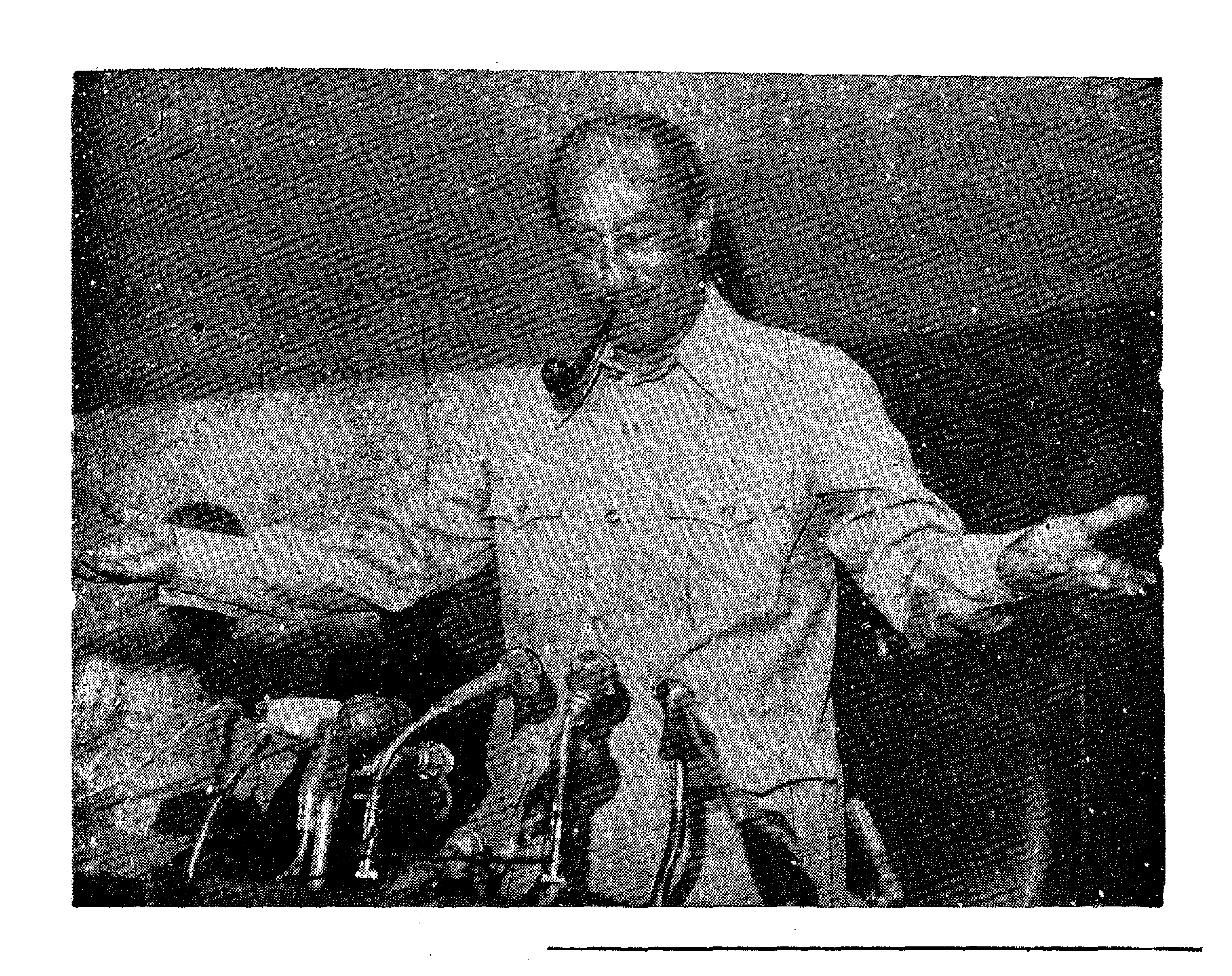
● الرئيس محمد أنور السادات ، في منزله ، برفقة سيدة مصر الأولى جيهان السادات



● الرئيس السادات مع الدكتور هنرى كيسنجر .. وبداية رحلة السلام التى بدأت منذ سبت سنوات



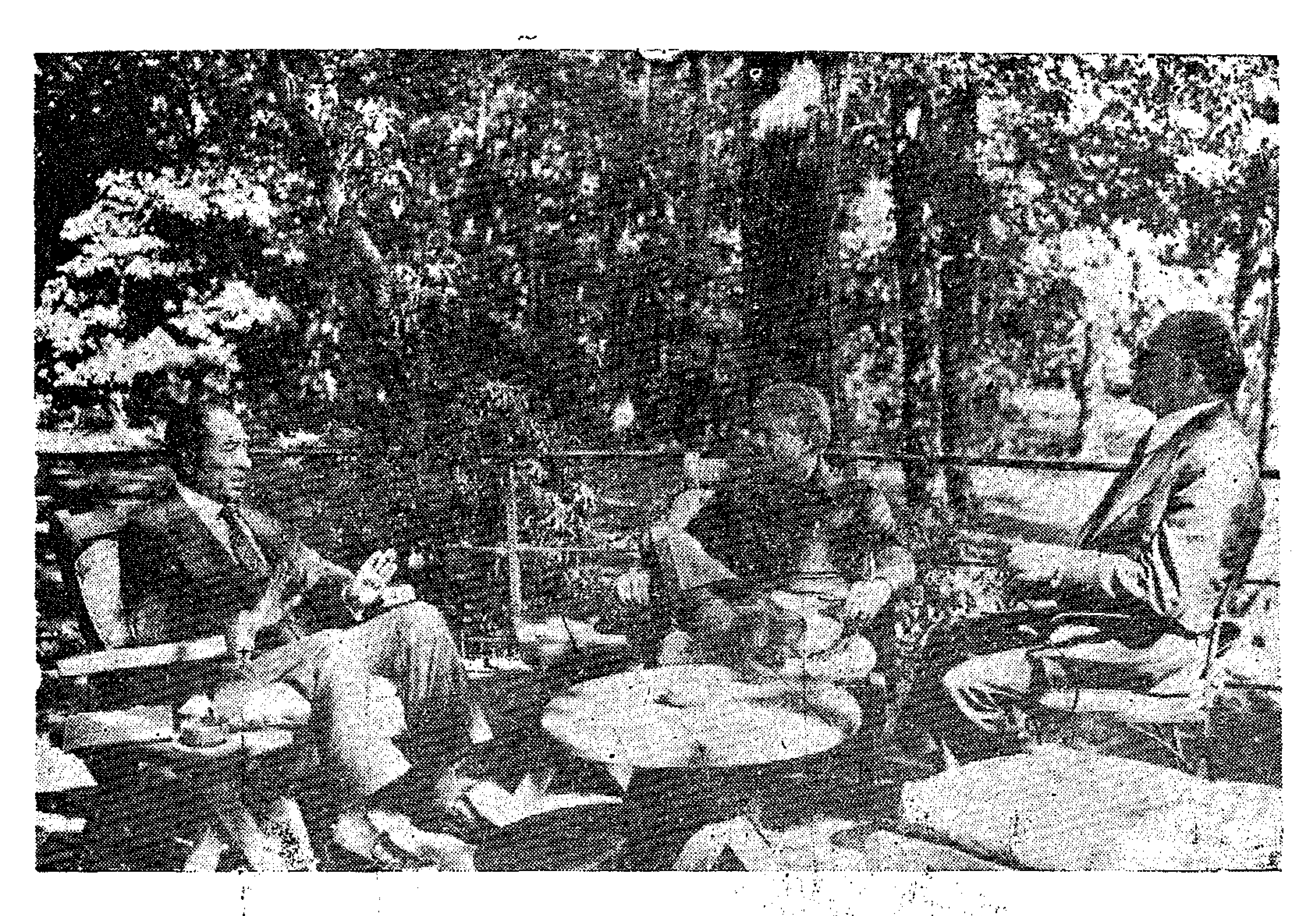
● الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، يصلي صلاة العيد في المسجد الأقصى ، أثناء مبادرته النبيلة الشجاعة التى قام بها من أجل السلام



● الرئيس السادات .. يتحدث عن السلام ، وعودة أراضينا الينا ، ويدمغ الرافضين لمحاولاتهم التخريبية ومؤامراتهم ، التي لا تسعى الا لتعطيل واعاقة أهداف وآمال مصر والمنطقة



● الرئيس الأمريكى جيمى كارتر ، الذى بذل جهودا عظيمة من أجل السلام ، ومحاولة التقريب بين طرفى النزاع ، من أجل توقيع معاهدة السلام فى مارس ١٩٧٩



● الرئيس السادات مع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ومناحم بيجن ، أثناء مباحثات كامب دافيد



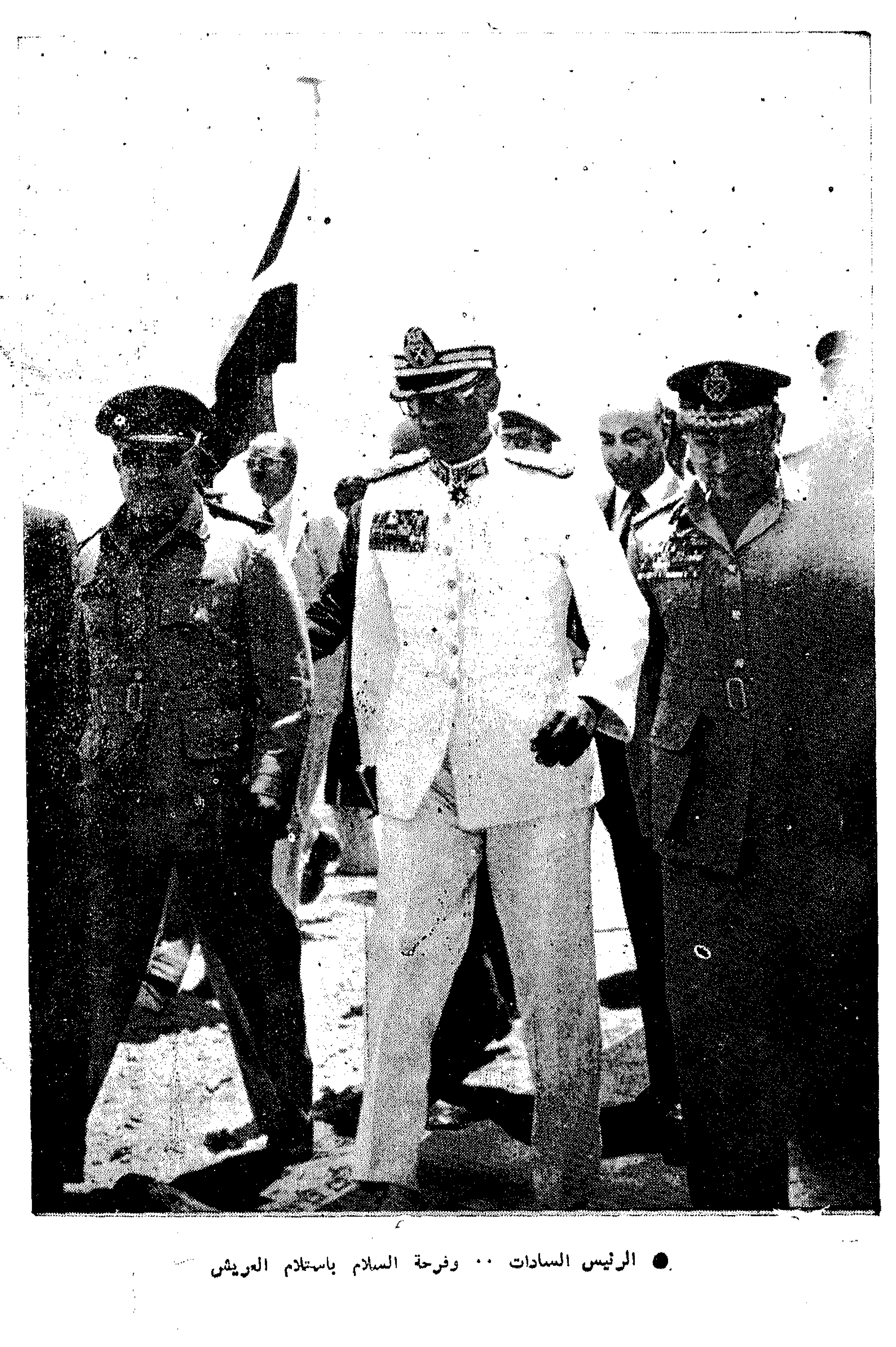
● الرئيس السادات ، يتحدث عن السلام فى واشنطن ٠٠
والسيدة جيهان السادات والرئيس كارتر ، الى جواره ٠٠



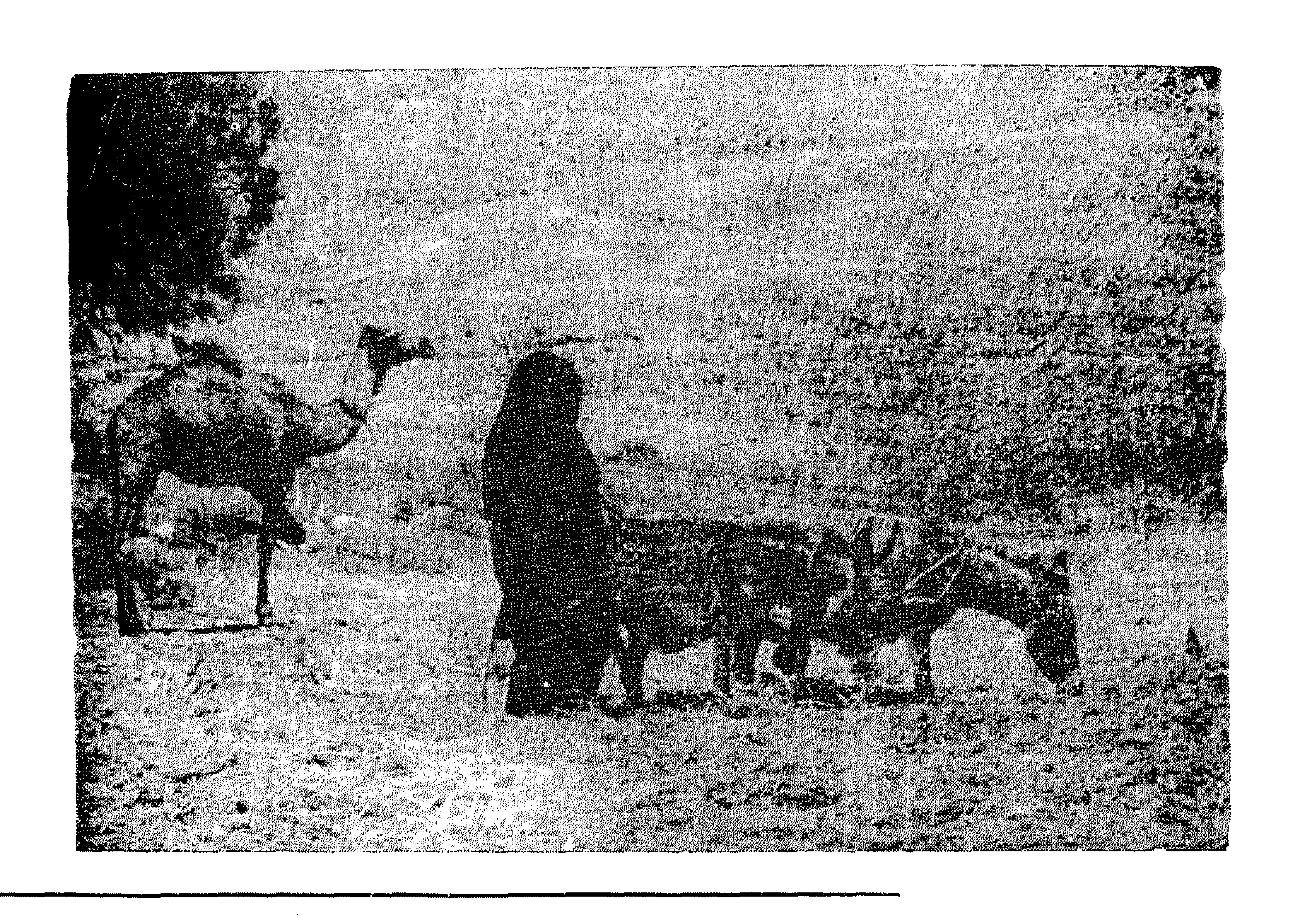
● الرئيس السادات ، والرئيس كارتر ، ومناحم بيجن ..
أثناء توقيع معاهدة السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩



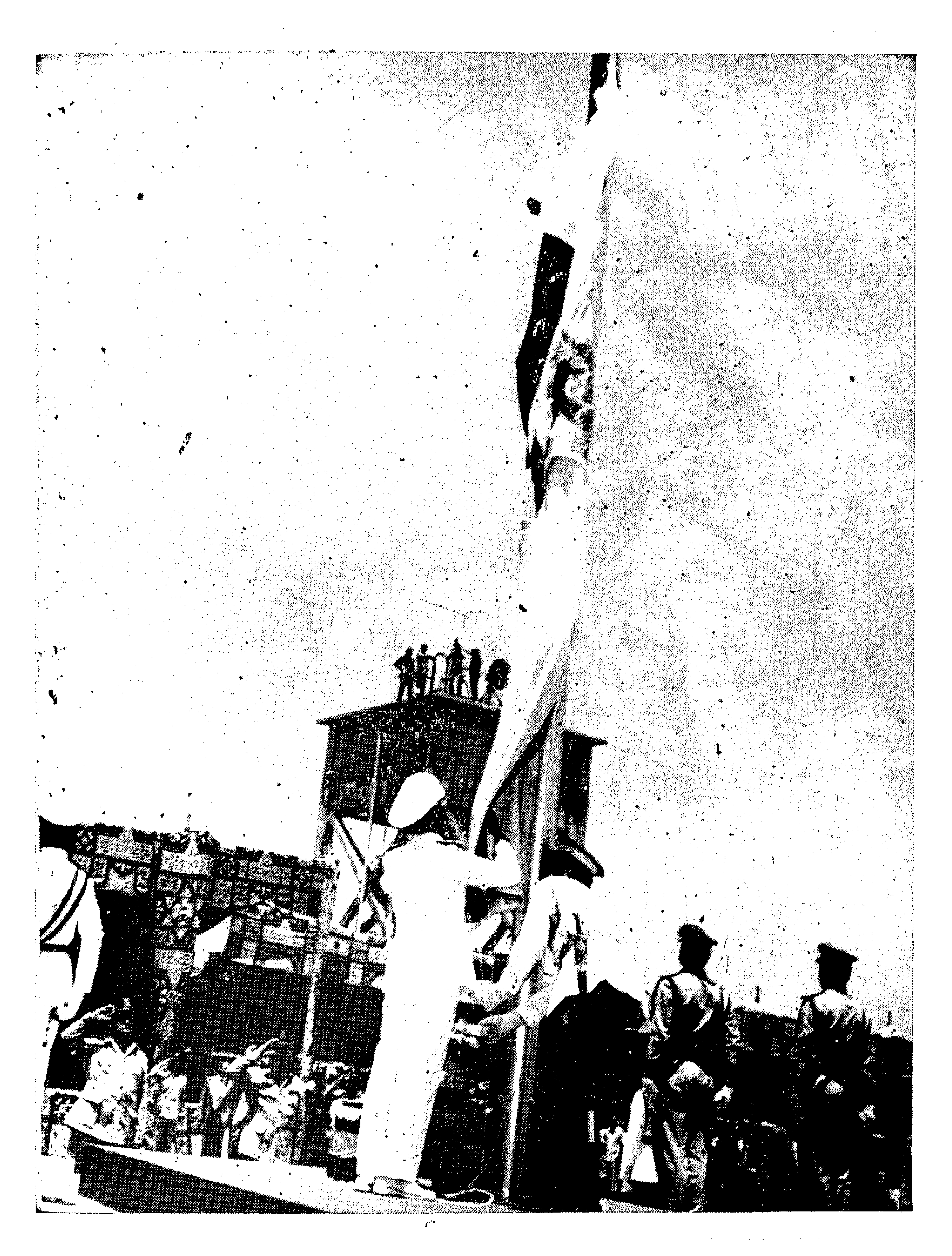
● الفرحة على وجوه الرئيس السادات ، والسيدة روزالين كارتر ، ورئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجن بعد توقيع معاهدة السلام ..



● الرئيس السادات .. وفرحة السلام باستلام العريش



● سيناء ولقاء العودة بالأرض الأم : مصر ..



● الرئيس السادات .. يرفع العلم على أرض العريش



● السادات ٠٠ رجل السلام ، في صحف ومجلات العالم



الرئيس السادات .. الذى اختاره ألعالم كرجل السلام
لجهوده من اجل السلام وحصوله على جائزة نوبل للسلام

فهـرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٦٠/٧٩

ISBN ٩٧٧ ـ ٢٠١ ـ ٧٥٠ ـ ٤

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٠ قرشاً